

برنامج "في ظلال الكلمة" وَصَفَاتُ الْمَسِيحِ (الجزء الثالث) كُتَيْبُ الدَّرَاسَةِ رَقْم ٢٢

Mini Bible College
Study Booklet # 22
Prescriptions of Christ
(Part 3)

By
Rev. Dr. Dick Woodward

بِقَلَمِ: الْقَسِّ الدُّكْتُورِ دِكِّ وُودُورْدِ
تَرْجَمَةً: الْقَسِّ الدُّكْتُورِ بِيَارِ فَرَنْسِيْسِ

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

٢	المُقدِّمة
٣	الفصلُ الأوَّل "وصفَةٌ للإرشاد"
٧	الخطوةُ الأولى آمِنَ أَنَّهُ تُوجَدُ إِرَادَةٌ مِنَ اللَّهِ لِحَيَاتِكَ
٨	الخطوةُ الثَّانِيَّةُ كُنْ مُرِيداً أَنْ تَعْمَلَ إِرَادَةَ اللَّهِ
٩	الخطوةُ الثَّالِثَةُ كُنْ مُنْفَعِياً لِمَا قَدْ تَكُونُ إِرَادَةُ اللَّهِ
١٠	الخطوةُ الرَّابِعَةُ كَلِمَةُ اللَّهِ
١١	الخطوةُ الخَامِسَةُ الصَّلَاةُ
١٢	الخطوةُ السَّادِسَةُ إِمْتَحِنِ دَوَافِعَكَ
١٣	الخطوةُ السَّابِعَةُ قِيَمِ مَوَاهِبَكَ
١٦	الخطوةُ الثَّامِنَةُ إِبْحَثْ عَنِ نُمُودِجِ
١٨	الخطوةُ الثَّاسِعَةُ إِبْحَثْ عَنِ تَأْكِيدِ
١٩	الخطوةُ العَاشِرَةُ إِنْتَظِرِ الرَّبَّ
٢٠	الخطوةُ الحَادِيَةَ عَشْرَ تَابِعِ التَّقَدُّمَ
٢١	الخطوةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ أَطْلُبْ مَشُورَةَ رُوحِيَّةٍ
٢٣	الفصلُ الثَّانِي "وصفَةٌ لِلهُيُوءَةِ"
٣٠	الفصلُ الثَّالِثُ "وصفَةٌ لِلقَلْقِ"
٣٤	الفصلُ الرَّابِعُ "وصفَةٌ لِأَجْلِ السَّلَامِ"
٤٦	الفصلُ الخَامِسُ "وصفَةٌ لِلصَّلَاةِ"
٤٩	الفصلُ السَّادِسُ "وصفَةٌ لِلطَّاعَةِ"

المُقدِّمة

هذا هُوَ الكُتَيْبُ الثَّالِثُ والأخير الذي نُقدِّمُهُ حولَ مَوْضُوعِ "وَصَفَاتِ المَسِيحِ". فإن لم تكنْ أَيْهَا القَارِئُ العَزِيزُ قدِ إطلَعْتَ على الكُتَيْبَيْنِ السَّابِقَيْنِ في هذا المَوْضُوعِ، أُشجِّعُكَ على الحُصُولِ عليهما، لأنني أؤمنُ أَنَّهُ مِنَ الأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ أن نحصلَ على وِصْفَاتٍ أو نِصَائِحٍ لِلْمَشَاكِلِ وَالتَّحَدِّيَّاتِ التي تُواجهُهَا، مِنَ اللّهِ وَمِنَ كَلِمَتِهِ، وليسَ مِنَ العَالَمِ. فعندما نشعُرُ أَنَّنَا لَسْنَا على ما يُرامُ، وَأَنَّنَا نحتاجُ طَبِيباً، لا نَذْهَبُ عِنْدَهَا لِإِسْتِشَارَةِ المُحَامِي، ولا حتَّى طَبِيبِ الأَسنانِ. بل نحتاجُ إلى طَبِيبٍ، وهكذا نُفتِّشُ عنه إلى أن نحصلَ منه على "الوصفَةِ" الصَّحِيحَةَ لِمَرَضِنَا.

تُوفِّرُ كَلِمَةُ اللّهِ وَصَفَاتِ إلهِيَّةً لَنَا جَمِيعاً. في هذا الكُتَيْبِ الثَّالِثِ حولَ وَصَفَاتِ المَسِيحِ، سوفَ ندرُسُ وَصَفَاتِ اللّهِ؛ لِإِكْتِشَافِ إرشادِهِ، ولِإِسْتِعَادَةِ هُويَّتِنَا الحَقِيقِيَّةِ، ولِلتَّعَلُّبِ على قَلْبِنَا، ولِإِيجَادِ السَّلَامِ الحَقِيقِيِّ، ولِتَعَلُّمِ كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ، ولِسُلُوكِ طَرِيقِ الطَّاعَةِ لِلّهِ. فإفْتَحْ كِتَابَكَ المُقَدَّسَ أَيْهَا القَارِئُ العَزِيزُ، وسوفَ نَجِدُ معاً وَصَفَاتِ مِنَ المَسِيحِ المُقَامِ الحَيِّ، الذي هُوَ وَحدَهُ الطَبِيبُ الشَّافِي.

صَلَاتِي هي أن يَصِلَ بِكَ بَرنامُجُ "في ظِلَالِ الكَلِمَةِ"، كما وهذا الكُتَيْبُ، إلى داخِلِ كَلِمَةِ اللّهِ، وأن يَصِلَ بِكَلِمَةِ اللّهِ إلى داخِلِ قَلْبِكَ، لأنَّنَا نَجِدُ في كَلِمَتِهِ الوِصْفَاتِ التي ستَقوِّدُنَا إلى كُلِّ الحَقِّ.

الفصل الأول

"وصفة للإرشاد"

خلال خدمتي كراعي كنيسة لحوالي خمسة عقودٍ من السنين، أكثرُ سؤالٍ طرَحَ عليَّ كانَ التَّالي: "أيُّها القس، كيف يُمكنني أن أعرفَ إرادةَ الله؟" أحياناً، كانَ السؤالُ يتعلَّقُ بقرارٍ على مُفترَقِ طُرُقٍ، وأحياناً أُخرى، وَرَدَ السؤالُ على الشَّكْلِ التَّالي: "كيف يمكنني أن أعرفَ إرادةَ الله لحياتي؟"

خلالَ إجابتي على هذا السؤالِ لِعِدَّةِ مَرَّاتٍ عبرَ السنين، رَكَزْتُ على اثنتي عشرةَ خُطوةً يتوجَّبُ علينا إتِّخاذُها، عندما نريدُ أن نعرفَ إرادةَ الله. هذه الخُطواتُ الإثنتا عشرةَ ليست مُعادلةً مُحدَّدةً بِدِقَّةٍ، تُفودنا مُباشرةً وبوضوحٍ إلى معرفةٍ مشيئةِ الله، ولكنها تُبرِّزُ القضايا التي ينبغي النَّظَرُ إليها عندما نحاولُ أن نجعلَ إرادتنا تتسجَمَ معَ إرادةِ الله.

المرةُ الأولى التي تكلمَ فيها اللهُ القُدوسَ معَ الإنسانِ السَّاقِطِ في الكتابِ المُقدَّس، كانتَ أنَّه طرَحَ عليه سؤالاً. وكانَ هذا السؤالُ: "أينَ أنت؟" المرةُ الثَّانيةُ التي تكلمَ فيها اللهُ معَ الإنسانِ السَّاقِطِ، طرَحَ عليه سؤالاً أُخرى، وكانَ هذا السؤالُ، "من قالَ لك؟" يتضمَّنُ السؤالُ الأوَّلُ أنَّه يُفترَضُ بنا أن نكوُنَ في مكانٍ ما، وأننا لا نكوُنُ دائماً حيثُ يُفترَضُ بنا أن نكوُنَ. وبِحَسَبِ السؤالِ الثَّاني، يسألنا اللهُ، "إلى من تَسْتَمِعُونَ؟" وهو يُخبرنا أينَ نحنُ بالنِّسبةِ إلى المكانِ الذي كانَ يُفترَضُ بنا أن نكوُنَ فيه. هذا يعني أنَّ الإرشادَ الإلهيَّ هو من أُولى الحقائقِ التي أخبرنا بها اللهُ في الكتابِ المُقدَّس.

هذان السؤالانِ اللذانِ نَجِدُهُما في الإصحاحِ الثَّالثِ من سفرِ التَّكوين، هُما وصفةٌ للإرشادِ الإلهيِّ كما كانَ في ذلكَ الزَّمانِ، لأنَّ اللهَ يُريدنا أن نفهَمَ الإرشادَ الإلهيَّ كما يَصِفُهُ اللهُ اليومَ. فعندما نعرفُ أينَ نحنُ وأينَ يُفترَضُ بنا أن نكوُنَ رُوحياً، علينا أن نُدرِكَ أنَّنا لا ينبغي أن نحصلَ على المعلوماتِ مِنَ النَّاسِ، بل ينبغي أن نتأكَّدَ أن تأتيَ وُجْهتُنا الرُّوحيةُ مِنَ اللهِ.

يأتي السؤالُ الثَّاني في الأصلِ العبريِّ في الكتابِ المُقدَّسِ على الشَّكْلِ التَّالي، "من جَعَلَكَ تعرفُ...؟" وعندما نُدرِكُ أنَّ اللهَ يجعلنا نعرفُ أينَ نحنُ وأينَ ينبغي أن نكوُنَ، قد لا نَشعُرُ بالإرتياحِ لنقولِ للآخرين، "اللهُ قالَ لي." وقد نشعُرُ أكثرَ إرتياحاً باقتباسِ هذه الحقيقةِ بأكثرَ دِقَّةٍ عندما نقولُ، "اللهُ جعلنا نعرفُ أنَّنا لسنا حيثُ نحتاجُ أن نكوُنَ في هذه المرحلةِ من حياتنا."

نقرأ قصةً عن أميرالٍ في البحريّة الأميركيّة، الذي كانَ على متن سفينةٍ من سفنهِ وسطَ جَوِّ عاصِفٍ، وسُرَّعَانَ ما إستلَمَ رسالةً تقولُ: "أيُّها الأميرال، لقد إستلَمنا رسالةً طارئةً على شاشة الرادار، نَقُولُ أَننا على حَظٍّ سيُؤدُّنا إلى الإصطدامِ بالطَّرَفِ الذي أرسلَ الإشارةَ. فماذا تنصَحُنَا؟" فأجابَ الأميرالُ، "أرسلوا الرسالةَ التَّالِيَةَ للطَّرَفِ الأخر: أنتم على وشكِ الإصطدامِ بنا. الرِّجاءُ أن تُغَيِّرُوا إتِّجاهَكُم خمسَ عشرةَ درجةً شمالاً."

بعدَ دقائقَ معدودة، أعلَمَ الأميرالُ أَنَّهُم إستلَمُوا على متن سفينتهِ الجوابَ التَّالِي: "صحيحٌ أَننا على مسارِ التَّصادمِ. فالرِّجاءُ أن تُغَيِّرُوا إتِّجاهَ مسارِكُم خمسَ عشرةَ درجةً جَنُوباً." فأعطى الأميرالُ الأَمَرَ بإرسالِ الجوابِ التَّالِي: "هُنا الأميرال بيتر جونسون، من البحريّة الأميركيّة. أنصَحُكُم بِتَغْيِيرِ مسارِكُم خمسَ عشرةَ درجةً شمالاً."

فجاءَ الجوابُ التَّالِي على هذه الرسالةِ الأخيرة: "هُنا حارسُ الشَّاطِئِ الأميركيِّ ويلارد سواير. أنصَحُكُم بِتَغْيِيرِ مسارِكُم خمسَ عشرةَ درجةً جَنُوباً." فعندما إستلَمَ الأميرالُ هذا الجوابَ، إستَشَّطَ غَيْظاً، وأرسلَ الرسالةَ التَّالِيَةَ: "أمرُكُ بأن تُغَيِّرَ مسارَكَ خمسَ عشرةَ درجةً شمالاً. فأنا أميرالُ الأَسْطُولِ، وأمرُكُ من على سفينتي بِإِطاعةِ الأوامرِ."

"بعدَ وقفةٍ وجيزة، جاءَ الجوابُ التَّالِي: "أنصَحُكُم بِشِدَّةٍ أن تُغَيِّرَ مسارَكُم خمسَ عشرةَ درجةً جَنُوباً. فأنا حارسُ الشَّاطِئِ الأميركيِّ، وأقفُ على رأسِ بُرجِ منارةٍ ثابتةٍ."

عندما يجعلنا إلهنا القادرُ على كُلِّ شَيْءٍ نعرفُ أينَ نحنُ وأينَ يُفترَضُ بنا أن نكونَ، لا يَنبَغِي أن يكونَ هُناكَ أدنى شكٍّ في من هُوَ الذي يَنبَغِي أن يُغَيِّرَ إتِّجاهَهُ. بل علينا أن نستسلمَ لِتَوَجِيهِهِ عندما يجعلنا نعرفُ أينَ يُريدنا أن نكونَ كُلَّ يَوْمٍ.

إرادةُ اللهِ لِشَخْصِيَّتِنَا

إنَّ إرادةَ اللهِ لِكُلِّ تلاميذِ يسوع المسيح، هي بالمعنى الحقيقي للكلمة أن نُطَبِّقَ على حياتنا جوهرَ الوصايا العشرِ والموعظةِ على الجبلِ. رَكَزَ الرَّسُولُ بُولُسُ على هذا البُعدِ من إرادةِ اللهِ، بقوله لِلكورنثيين، "لأنَّ هذه هي إرادةُ اللهِ، قداسَتُكُم." (١ تسالونيكي ٤ : ٣).

عندما نزلَ موسى من على جَبَلِ سيناء، لم يحملَ معه "الإقتراحاتِ العشرِ". فالوصايا العشرُ تُمَثِّلُ إرادةَ اللهِ لِشَخْصِيَّةِ شعبِ اللهِ. والموعظةُ على الجبلِ هي قِمَّةُ إعلانِ اللهِ عن نَوْعِيَّةِ شَخْصِيَّةِ كُلِّ تلميذٍ من تلاميذِ يسوع المسيح. فيمعنى ما، الكتابُ المُقدَّسُ بكاملِهِ كُتِبَ لأنَّ إرادةَ اللهِ القُدُّوسِ هي أن يكونَ كُلُّ رَجُلٍ وإمرأةٍ كاملاً في الشَّخْصِيَّةِ وأن يكونَ مُوهَّلاً لِكُلِّ عَمَلٍ صالحٍ يُريدُهُ اللهُ أن يعمله (٢ تيموثاؤس ٣ : ١٦ - ١٧).

مَنْ الْمُهِمَّ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ الْوَصَايَا الْعَشْرَ وَالْمَوْعِظَةَ عَلَى الْجَبَلِ، لَا تُعَلِّمُنَا أَنْ نَعِيشَ الشَّخْصِيَّةَ الَّتِي تَصِفُهَا لَنَا لَكِي نَخْلُصَ. بَلْ أُعْطِيَتْ تَعَالِيمُ يَسُوعَ وَوَصَايَا مُوسَى، أُعْطِيَتْ لَنَا مِنْ اللَّهِ لَكِي نَعْرِفَ كَيْفَ يَتَوَجَّبُ عَلَى الْأَشْخَاصِ الْمُخْلِصِينَ أَنْ يَعِيشُوا، لَكُونَهُمْ شَعْبَ اللَّهِ الْحَقِيقِيِّ. بِهَذَا الْمَعْنَى، يُمَكِّنُنَا الْقَوْلُ أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ لِشَخْصِيَّةِ كُلِّ شَعْبِهِ هِيَ عَيْنُهَا.

إِرَادَةُ اللَّهِ لِأَعْمَالِنَا

كَتَبَ دَاوُدُ يَقُولُ أَنَّ خَطَوَاتِ الصِّدِّيقِ تَنْبَتُ مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ (مزمور ٣٧: ٢٣).
وَيُخْبِرُنَا أَيْضاً أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ، وَضَعَ اللَّهُ خُطَّةً لِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ حَيَاتِهِ. (مزمور ١٣٩: ١٦).
يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضاً فِي مَزْمُورِ الرَّاعِي أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ، يَمْشِي أَمَامَهُ، وَيَتَّبَعُهُ مِنَ الْخَلْفِ بِطَرِيقَةٍ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مَعَهَا أَنْ يَهْرُبَ مِنْ قِيَادَةِ رَاعِيهِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ يَأْتِي بِهَا (مزمور ٢٣).

هَذِهِ الْعِلَاقَةُ الْحَمِيمَةُ مَعَ اللَّهِ، بِالتَّأَكِيدِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِخْتِبَارَ دَاوُدَ فَحَسَبِ، بَلْ يُمَكِّنُ وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِخْتِبَارَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلَادِ اللَّهِ. "فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَسْقُطُ عُصْفُورٌ مَتِيناً مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ، يَذْهَبُ اللَّهُ لِحُضُورِ الْجَنَازَةِ." هَذَا تَعْبِيرٌ تَفْسِيرِيٌّ قَامَ بِهِ أَحَدُ الْمُبَشِّرِينَ مِنْ جِيلٍ يَخْتَلِفُ عَنِ الْجِيلِ الَّذِي عَلَّمَ فِيهِ يَسُوعَ، لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا قَالَهُ يَسُوعُ أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عُصْفُورٌ وَاحِداً عَلَى الْأَرْضِ بَدُونَ إِذْنِ أَبِيكُمْ (متى ١٠: ٢٩).

التَّطْبِيقُ الَّذِي أَجْرَاهُ يَسُوعُ عَلَى هَذَا التَّعْلِيمِ، هُوَ أَنَّهُ بِمَا أَنَّ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ، وَبِمَا أَنَّنا ذَوُو قِيمَةٍ أَكْبَرَ جَدًّا مِنْ قِيمَةِ الْعُصْفُورِينَ، فَإِنْ كَانَ اللَّهُ لَدَيْهِ مَشِيئَةٌ حَيَالِ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتِ الْعُصْفُورِ الصَّغِيرِ، فَبِمَكَانِنَا التَّأَكُّدِ أَنَّ لِلَّهِ مَشِيئَةَ حَيَالِ كُلِّ نَفَاصِيلِ حَيَاتِنَا.

فِي هَذَا التَّعْلِيمِ عَنِ عُصْفُورِ الدُّورِيِّ، أَكَّدَ يَسُوعُ إِعْلَانَ دَاوُدَ عَنِ إِلِهِ شَخْصِيَّ يَهْتَمُّ بِأَصْغَرَ نَفَاصِيلِ حَيَاتِنَا، وَبِمُخَطَّطَاتِنَا اليَوْمِيَّةِ، وَبِتَوَجُّهِ خُطَوَاتِنَا. وَهُوَ يُشَدِّدُ كَثِيرًا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عِنْدَمَا يُخْبِرُنَا فِي الْمَقْطَعِ نَفْسِهِ أَنَّ اللَّهَ يَهْتَمُّ بَعْدِ شَعْرِ رُؤُوسِنَا (متى ١٠: ٣٠).

وَإِقْفَ بُولُسَ الرَّسُولِ بِوَضُوحٍ مَعَ يَسُوعَ وَدَاوُدَ عِنْدَمَا كَتَبَ قَالَ أَنَّهُ رُغْمَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا تَخْلُصُ، وَلَكِنَّا نَخْلُصُ لِأَجْلِ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا اللَّهُ لِكِي نَسْلُكَ فِيهَا مِنْ أَجْلِهِ (أفسس ٢: ١٠). وَيَكْتَبُ بُولُسُ قَائِلاً أَنَّهُ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي تَجَدَّدَ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ، كَانَ هَمُّهُ الْأَسَاسِيُّ أَنْ يُدْرِكَ الْقَصْدَ الَّذِي لِأَجْلِهِ أَدْرَكَهُ أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعَ (فيلبي ٣: ١٢). وَهُوَ يَحْضُنَا أَيْضاً "لِنَخْتَبِرَ عَمَلِيًّا أَنَّ خُطَّةَ اللَّهِ لَنَا هِيَ صَالِحَةٌ، وَلِكِي نُلْتَبِي كُلَّ مُطْلَبَاتِ اللَّهِ وَنَتَحَرَّكَ نَحْوَ هَدَفِ التُّضْجِ الرَّوْجِيِّ." (رُومِيَّةُ ١٢، ١، ٢).

لَقَدْ لَاحِظْتُ أَعْلَاهُ أَنَّهُ فِي الْأَعْدَادِ الْإِفْتِتَاحِيَّةِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَخْبَرْنَا مُوسَى أَنَّهُ يُوجَدُ مَكَانٌ حَيْثُ يُرِيدُنَا اللَّهُ أَنْ نَكُونَ، وَاللَّهُ سَيَجْعَلُنَا نَعْرِفُ مَتَى نَكُونُ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَمَتَى لَا نَكُونُ فِيهِ. عِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ بِهَذِهِ الْقِيمِ الْمُعْلَنَةِ لِيَسُوعَ، مُوسَى، دَاوُدَ، وَبُولُسَ، يَنْبَغِي أَنْ نَشْعُرَ

بِبَرَكَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَمَا نَعْرِفُ أَنَّ إِلَهَنَا هُوَ إِلَهٌ شَخْصِيٌّ، وَهُوَ يَهْتَمُّ بِنَا شَخْصِيًّا كَأَفْرَادٍ. فَبِحَسَبِ
هَذِهِ الْقَنَوَاتِ لِلرُّوحِ الْإِلَهِيِّ، اللَّهُ يُحْصِي شَعْرَ رُؤُوسِنَا، وَيَأْمُرُ بِخَطُواتِنَا، وَيُنْظِمُ أَيَّامَنَا،
وَلَدِيهِ خُطَّةٌ لَشَخْصِيَّاتِنَا، وَلِأَعْمَالِنَا، وَلِكُلِّ قَرَارٍ هَامٍّ نَتَّخِذُهُ بَيْنَمَا نَحْيَا لَهُ فِي الْعَالَمِ.

الخطوة الأولى

أمن أنه توجد إرادة من الله لحياتك

أفضل مكان لنا لنبدأ بطلب مشيئته لحياتنا، هو أن نؤمن بأنه يوجد ما يسمى مشيئة الله لحياتنا. ومجرد وجود أكثر من سبب مليار بصمة إصبع، في هذا العالم، وكل واحد منها تختلف عن الأخرى، يشير أن لدى الله خطة فريدة لحياة كل واحد منا. اليوم، تشير أبحاث الحمض النووي D. N. A. إلى ما هو أبعد من أهميّة البصمات، كشاهد بليغ عن معجزة كون كل واحد منا فريداً ومختلفاً عن الآخر، وأن الله لديه خطة فريدة لكل منا.

حتى يما يتعلّق بالخلّاص، فنحن ليس لدينا أوثوماتيكياً هذه الخطة. فمن أولى نتائج وأهداف خلاصنا هو أن نستعيد إرادة الله لحياتنا. صلاتي أن تساعدك هذه الخطوات الإثنتي عشر التي أوشك على تبيانها، على قيادتك إلى إرادة الله الصالحة، المرضية، والكاملة لحياتك الشخصية. الخطوة الأولى في إستعادة إرادة الله هي نؤمن أن الله لديه خطة شخصية لحياتك وحياتي.

الخطوة الثانية

كُن مُرِيداً أَنْ تَعْمَلَ إِرَادَةَ اللَّهِ

الخطوة الثانية هي الأكثر أهميةً بين الخطوات الإثنتي عشرة خطوة التي أريد أن أتكلّم عنها: أن نكون مُرِيدِينَ ومُستَعِدِّين للقيام بإرادة الله. عندما علّم يسوع تلاميذه كيف يُصَلُّون، علّمهم أن يُصَلُّوا قائِلِينَ، "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ." عندما صلّى يسوع في بُستانِ جُثسيماني قَبْلَ صَلِيهِ بِلَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، أَظْهَرَ لتلاميذه كيف يُصَلُّون، عندما تساقطَ عرقُه كَقَطْرَاتٍ دَمٍ نازِلَةٍ على الأرض، فصلّى قائِلاً، "لِتَكُنْ لا مَشِيئَتِي، بل مَشِيئَتُكَ." (متى ٦ : ١٠ ؛ ٢٦ : ٣٩ ؛ لوقا ٢٢ : ٤٢ - ٤٤).

عندما أعطانا يسوع مبدأً يُظهِرُ لنا كيف بإمكاننا أن نعرف أن تعليمه هو تعليم الله، أعطانا أيضاً مبدأً ينطبق عندما نطلب أن نعرف مشيئة الله. والمبدأ هو ببساطة التالي: "إن شاء أحدٌ أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلّم أنا من نفسي". (يوحنا ٧ : ١٧). هذه الكلمات القليلة التي نطق بها يسوع، وَضَعَتْ بين أيدينا مفتاحاً يكشف عن إرادة الله أو عن مشيئته لحياتنا.

بحسب الرسول بولس، إن معرفة إرادة الله لحياتنا لا ينبغي أن تكون صعبة أو معقدة. فالله لا يعقد ولا يشوش مشيئته عمداً. والصعوبة لا تكمن في إرادة الله، بل في إرادتي وإرادتك. وبينما يُخبرنا بولس كيف يمكننا أن نعرف "مشيئة الله الصالحة والمرضية والكاملة"، يبدأ بوصفه لمعرفة إرادة الله بإخبارنا بأن نرفع أيدينا مُسَلِّمين إرادتنا بدون شروط لإرادة الله. قال، "قدّموا أجسادكم ذبيحة حيّة لله..." (رومية ١٢ : ١ - ٢).

إنّ إستسلامنا غير المشروط لإرادة الله، سوف يُبسّط بحثنا عن مشيئته. فبملاحظة وإختبار ودرس كلمة الله، توصلت إلى الإستنتاج أن أكبر عائق لمعرفة مشيئة الله لحياتنا، ليس إرادة الله، بل إرادتنا نحن. فالله لا يعلن إرادته لأشخاص لا يريدون أن يعملوا بها.

الخطوة الثالثة

كُنْ مُنْفَتِحاً لِمَا قَدْ تَكُونُ إِرَادَةُ اللَّهِ

طَلَبَتْ إِمْرَأَةٌ مَرَّةً مِنْ رَاعِي كَنِيستِهَا أَنْ لَا يُشَوِّشَ أَفْكَارَهَا بِآيَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ تَتَكَلَّمُ عَنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ لِحَيَاتِهَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ سَبَقَتْ وَحَسَمَتْ أَمْرَهَا حِيَالًا مَا كَانَتْ سَتَعْمَلُهُ. أَخْبَرَنِي مُؤَخَّرًا رَجُلٌ يَعْمَلُ كَمُرْشِدٍ إِجْتِمَاعِيٍّ وَيَتَقاضَى أَجْرًا كَبِيرًا عَلَى عَمَلِهِ، أَنَّهُ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ عِنْدَمَا يَتَقاضَى أَجْرًا كَبِيرًا جَدًّا، يَكُونُ مَرْضَاهُ غَيْرَ رَاغِبِينَ بِالْعَمَلِ بِالنَّصِيحَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا لَهُمْ، وَالَّتِي دَفَعُوا لَهُ أَجْرَهَا. بَلْ كُلُّ مَا يُرِيدُونَهُ مِنْهُ بِبَسَاطَةٍ هُوَ أَنْ يُصَادِقَ وَيُؤَافِقَ مَعَهُمْ عَلَى مَا سَبَقُوا وَقَرَّرُوا أَنْ يَعْمَلُوهُ.

غَالِبًا مَا تَكُونُ إِرَادَةُ اللَّهِ بَعِيدَةً عَن مَنَالِنَا، لِأَنَّنا عَادَةً مَا تَكُونُ لَدِينَا مُخَطَّطَاتُنَا الْخَاصَّةُ بِنَا عِنْدَمَا نَأْتِي إِلَى اللَّهِ طَالِبِينَ مَشِيئَتَهُ. فَإِنْ كَانَتْ أَذْهَانُنَا مُتَحَجِّرَةً كَالصَّخْرَةِ عِنْدَمَا نَطْلُبُ مَشِيئَةَ اللَّهِ، لَا تَكُونُ عِنْدَهَا صَادِقِينَ فِي طَلْبِنَا لِمَشِيئَتِهِ. بَلْ نَكُونُ بِالْحَقِيقَةِ نَطْلُبُ أَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ مَشِيئَتَنَا نَحْنُ، وَمُخَطَّطْنَا، وَالطَّرِيقَةَ الَّتِي سَبَقَ وَقَرَّرْنَا أَنْ تَسِيرَ بِهَا الْأُمُورُ.

الخطوة الرابعة

كلمة الله

يُخبرنا إشعياء أنه يُوجدُ فرقٌ كبيرٌ بينَ أفكارِ وطُرُقِ اللهِ وبينَ الطريقةِ التي بها نُفكِّرُ ونعملُ الأشياءَ، وهذا الفرقُ هوَ مثلُ إرتفاعِ السَّمَاوَاتِ عن الأرضِ. إنَّ فلسفَةَ إشعياء للخدمة، كانت أن يكرِّرَ بكلمةِ اللهِ، لأنَّ كلمةَ اللهِ تُسبِّبُ إنسجاماً بينَ أفكارنا وبينَ أفكارِ اللهِ، وبينَ طُرُقنا وبينَ طُرُقِ اللهِ، وبينَ إرادتنا وبينَ إرادةِ اللهِ (إشعياء ٥٥ : ٩ - ١١)

يُخبرنا أميرُ الأنبياءِ هذا بالسببِ الذي جعلهُ يكرِّرُ بكلمةِ اللهِ. فبحسبِ إشعياء، إذا أرادَ شعبُ اللهِ بصدقٍ أن يعرفوا إرادةَ اللهِ الذي لا يُفكِّرُ ولا يعملُ كما يعملون، عليهم ببساطةٍ أن يقضوا المزيدَ من الوقتِ في دراسةِ كلمتهِ.

سمعتُ مرّةً بيلي غراهام يُخبرُ بقصةٍ عن صُعودِهِ إلى طائِرةٍ، قبلَ أن يُصبحَ معروفاً بالقدرِ الذي هوَ فيه اليومِ. وعندَ دُخولِهِ الطائِرةِ، حَيَّى قسيساً كانَ صديقاً قديماً له، وكانَ يجلسُ على كُرسيِّ قَريبٍ للكرسيِّ التي جلسَ عليها بيلي غراهام، وهوَ يقرأُ كتابَهُ المُقدَّسِ. فتجاهلَ القسيسُ الشَّيخُ بيلي غراهام تماماً. وبعدَ مِضيِّ حوالي السَّاعةِ على إقلاعِ الطائِرةِ، جاءَ القسيسُ الشَّيخُ إلى بيلي غراهام وحيَّاهُ بحرارةٍ، واعتذَرَ لأنَّهُ تجاهلَهُ سابقاً قائلاً، "عندما أُصَلِّي، أتكلَّمُ معَ اللهِ، ولكن عندما أفتَحُ كلمةَ اللهِ، يتكلَّمُ اللهُ معي. وهكذا كانَ يتكلَّمُ اللهُ معي عندما حَيَّيتني، فلم أستطِعْ أن أقاطعَ اللهُ لأجيبَ بيلي غراهام."

عندما كان يفتح Thomas a Kempis كتابه المقدس في كُلِّ صباح، كان يُصَلِّي قائلاً: "لتصمت كل الأصوات. تكلم معي يا رب أنت وحدك". فإن كُنَّا نريدُ بصدقٍ معرفةَ إرادةِ اللهِ، علينا أن نتمكَّنَ من الإستماعِ لله. علينا أن نطلبَ من الله أن يتكلَّمُ إلينا بينما نفتحُ كلمتهِ. لهذا علينا أن نقضي وقتاً في قراءةِ كلمةِ الله عندما نطلبُ معرفةَ مشيئتهِ.

الخطوة الخامسة

الصلاة

عندما يتوجب علينا معرفة إرادة كائنٍ بشريٍّ آخر، ما هي الخطوة الأولى التي يتوجب علينا القيام بها؟ أولُ فكرةٍ هي أننا ينبغي أن نتقابل مع هذا الكائن البشري ونتحدث معه. عندما يقع شابٌ في حُبِّ فتاةٍ ويريد أن يتزوجها، أولُ فكرةٍ هي أنه يحتاج أن يجلس ويتحدث معها. عندما نطلب أن نعرف مَشِيئةَ الله، أولُ فكرةٍ ينبغي أن نتوفر، هي أن نلتقي مع الله وأن نتحدث معه.

يُوجدُ بُعدان في كلِّ مُحادثة. وكلُّ مُحديثٍ جيِّدٍ يعلم أن أهمَّ بُعدي في المُحادثة، هو عندما يتكلم الشخص الآخر. هذان البعدان المتميزان في المُحادثة، ينبغي أن يأخذا مجراهما عندما نُصلي وعندما نقرأ كلمة الله. فإن كنتم لا تعلمون كيف تُصلون، فكلوا بالصلاة على أنها لقاء مع الله ومُحادثة معه. فعندما نُصلي، البعد الأكثر أهمية في هذه المُحادثة، هو بالطبع ليس عندما نتكلم نحن مع الله، بل عندما يتكلم هو إلينا.

لقد طلب الرُّسلُ بتواضع وإخلاص من يسوع أن يُعلِّمهم كيف يُصلون. وجواباً على إعترافيهم وطلبهم البريء هذا، أعطاهم يسوع صلاة التلاميذ (لوقا ١١ : ١ - ٥؛ ومتى ٦ : ٨-١٤). لقد كانت هذه الصلاة صلاةً وتعلماً لكيفية الصلاة. فعندما تُصلون، استخدموا صلاة التلاميذ كدليلٍ لإرشادكم عندما تتكلمون مع الله. ثمَّ عندها افتحوا كُتُبكم المقدَّسة واطلبوا من الله أن يتكلم معكم.

هذا الدليل لمُحادثتكم مع الله لم يكن المقصود به من قبل المسيح أن يتم تكراره مرةً تلو الأخرى، ظانين أن الله سيرضى بمجرد تكرار هذه الصلاة. بل ضمن يسوع تعليماتٍ هنا، التي تُظهر بوضوح أن هذا لم يكن قصده. واعتقد أيضاً أنه من المهم أن نلاحظ تعليماً آخر أعطاه يسوع عن كيف ينبغي أو لا ينبغي أن نُصلي. يُوجد بعض الناس الذين يؤمنون أنهم إذا كرروا صلاةً مُعيَّنة، وإذا أعادوا ذكر طلبته ما مراراً وتكراراً، فالله سوف يسمع ويستجيب.

عندما علم يسوع تلاميذه أن يُصلوا، قال، "وحيثما تُصلون، لا تُكرروا الكلام باطلاً كالأمم. فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم. فلا تتشبهوا بهم. لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه." (متى ٦ : ٧، ٨)

الخطوة السادسة

إمتحن دوافعك

أتريدُ أن تعرفَ إرادةَ اللهِ لِحياتِكَ بسببِ ما ستنتفعُ منها، أم بسببِ ما سينتفعُ اللهُ منها؟ فالدوافعُ مهمَّةٌ جدًّا بنظرِ اللهِ. وكلمةُ اللهِ تجمعُ بينَ دوافِعنا وبينَ قلوبنا، والكتابُ المقدَّسُ يُخبرنا أنَّ القلبَ أخذَ من كلِّ شيءٍ. ويخبرنا إرميا أنَّ قلوبنا مُخادعةٌ لدرجةِ أنَّ اللهَ وحدهُ يستطيعُ أن يعرفها (إرميا ١٧: ٩ - ١٠). ويكتبُ بولس الرسولُ قائلاً أنَّه بعدَ أن يكشفَ اللهُ الدوافعَ الخفيةَ لقلوبنا، عندها فقط سوفُ تُحاسبُ أعمالنا (١ كور ٤: ٥).

عندما واجهَ يسوعُ الصليبَ، صلى قائلاً: "الآن نفسي قد اضطربت، وماذا أقول؟ أيها الأب، نجني من هذه الساعة؟ ولكني لهذا أتيتُ من أجلِ هذه الساعة. أيها الأب، مجدِّ اسمك! فجاء صوتٌ من السماءِ قائلاً، "مجدتُ وأمجدتُ أيضاً."

بناءً على هذا المقطع، كتبَ رجلٌ تقيُّ جدًّا أنَّه ينبغي علينا أن نُصلي هذه الصلاة: "أيها الأب، مجدِّ اسمك، وأرسل لي الفاتورة. فأنا مُستعدُّ لأعملَ أيَّ شيءٍ تُريدهُ أيها الأب. فقط مجدِّ اسمك!" إنَّ كلمات يسوع الواردة أعلاه، والإقتباسُ التفسيريُّ لها، تُصِفُ الدافعَ الذي ينبغي أن نتحلَّى به جميعنا إذا أردنا معرفةَ إرادةِ الله.

فهل تُريدُ أن تعرفَ إرادةَ اللهِ لمجدِ اللهِ، أم لمجدنا الشخصيِّ ولمصلحتنا الشخصيةِّ؟ إنَّ جوابنا على هذا السؤال سيُكونُ مهمًّا جدًّا لدى الله، عندما ستقيمُ أعمالنا أمامَ كرسيِّ المسيح. من المهمِّ جدًّا أن تكونَ دوافعُ قلوبنا تهدفُ إلى تمجيدِ اللهِ، بينما نطلبُ مشيئتهُ في حياتنا اليومية.

الخطوة السابعة

قيّم مواهبك

بحسب بولس، إذا أردنا بإخلاص أن نعرف إرادة الله لحياتنا، بعد أن نكون قد استسلمنا بدون شروط لإرادة الله، وبعد أن نكون قد تغيرنا بتجديد أذهاننا، وبعد أن نكون قد قررنا أن العالم لن يشكّلنا بحسب قوالبه، عندها علينا أن نكتشف نماذج مواهبنا الروحية. وعندها علينا أن نقدّم هذه المواهب الروحية كذبيحة حيّة لله (رومية ١٢ : ١ - ٨) وهكذا سيقودونا الانضباط الروحي إلى قلب مشيئة الله.

قال لي أحد مرشدي منذ زمن طويل، "ينبغي أن يكون واضحاً أن الله لم يدع شخصاً برجلٍ واحدة ليشارك في سباق الركض الأولمبيّ." فسرعان ما نأخذ فكرة عن لائحة مواهبنا الطبيعيّة والروحيّة، كوكلاء أمناء، علينا أن نقبل حدود محدودياتنا، وأن نقبل كذلك الأمر مسؤوليّة مؤهلاتنا.

يوحنا المعمدان هو أفضل مثال على رجلٍ مارس هذه النظم الروحيّة في حياته. فلقد عرف يوحنا من كان وعرف أيضاً من لم يكن. قال، "أنا صوت صارخ في البريّة، أعدوا طريق الربّ." (مرقس ١ : ٣) كان هذا من وما وأين يجب أن يكون. ولقد عرف أن الحياة كانت أكثر قيمة من أن تكون أقل من كونه ذلك الصوت الصارخ في البريّة. ولقد عرف أيضاً من لم يكن. (يوحنا ٣ : ٢٧ - ٣٦، ومرقس ١ : ٧، ٨).

لقد عرفت مؤمنين عانوا من ألم غير ضروري، لأنهم لم يقبلوا حدود محدودياتهم. فعندما سيتمّ تقييمنا أمام كرسيّ المسيح، سوف يعاني الكثيرون منا صدماتٍ مربكة، لعدم قبولنا بمسؤوليّة مؤهلاتنا. ومثل العبد البطل في مثل الوزنات، نعتقد أحياناً أننا غير موهوبين، وهكذا ندفع مواهبنا التي أعطيت لنا (متى ٢٥ : ١٤ - ٣٠).

لائحة بالمواهب الروحيّة

لقد رأيت الكثير من المؤمنين المنزعجين بسبب كونهم إما لا يعرفون مواهبهم الروحيّة، أو لكونهم لا يمارسونها. الدليل التالي هو مناسب لوضع لائحة بالمواهب الروحيّة التي أعطيت لنا من الروح القدس.

١- عوّذ نفسك على الوصف الكتابي للمواهب الروحيّة. يوجد حوالي عشرون أو إحدى وعشرون من هذه المواهب الروحيّة المذكورة في العهد الجديد. أنا شخصياً لا أعتقد أن لائحة المواهب الروحيّة التي يمكن تجميعها من شواهد كتابيّة متنوّعة، لا أعتقد أن

المقصود بها من قبل كتاب هذه الأسفار الكتابية بأن تكون لائحة كاملة حصرية. بل اعتقد أن ما يقولونه هو على سبيل المثال وليس الحصر فيما يتعلق بالموهب الروحية.

٢- آمن أنك موهوب. الإصحاح الثاني عشر من كورنثوس الأولى هو الإصحاح الأكثر أهمية في العهد الجديد حول موضوع المواهب الروحية. بينما تدرس ذلك الإصحاح، لاحظ التشديد على كلمة "كل". عندما تلخص هذا الإصحاح العظيم، ينبغي أن تستنتج أن كل المؤمنين المتجددين هم موهوبون روحياً.

٣- تأمل بالطرق التي جعلك فعالاً ومثمراً في كنيسةك المحلية. فكل مواهب الروح مُعطاة لبنيان ولبركة ولتشجيع ولتعليم ولتأهيل باقي أعضاء الكنيسة. لهذا، فإن كنيسةك المحلية هي المكان الذي فيه تكتشف وتُميز وتُنمي وتُمارس عُقود مواهبك الروحية.

٤- ميز بين مؤهلاتك الطبيعية وبين مواهبك الروحية. فمؤهلاتك الطبيعية هي نموذج المواهب والمهارات التي ورثتها بولادتك الجسدية وبتراكيبتك الوراثية.

بمعنى ما، تُصبح هذه المؤهلات روحية عندما تُكرسها لله. مثلاً: إن كان لدى أحدهم صوت جميل، فكرسه وإستخدمه لتمجيد وتسيبح الله، فبذلك تُصبح موهبته الطبيعية موهبة روحية.

وهكذا فأنت قد ورثت نموذج مواهبك الروحية، أو عُقود مواهبك الروحية، بفضل ولادتك الروحية. فعندما يأتي الروح القدس ليسكن فينا، يجلب معه عُقوداً من المواهب الروحية التي لم تكن حاضرة في حياتنا قبل أن نولد من جديد (كورنثوس ١٢).

٥- توقع من أعضاء آخرين من كنيسةك أن يساعذك على أن تتعرف على مواهبك الروحية. تأمل بمدى تأثير مواهبك الروحية على أولئك الذين يتلقونها. فإن كان الناس يقبلون إلى الإيمان ويصبحون أعضاء في جسد المسيح عندما تُشاركهم برسالة الإنجيل، فهذا يعني أن لديك موهبة التبشير. وإن كان الناس يفهمون الحقائق الروحية التي تُعلمهم إياها، فهذا يعني أن لديك موهبة التعليم. من أهم أدوار الكنيسة مُساعدة المؤمنين على تمييز مواهبهم الروحية والإعتراف بها ومُمارستها وتطويرها.

٦- جِدْ فُرصاً لإختبار المواهب المُحتَملة أو المشكوك بها، وكذلك نماذج الخدمة. فكيف تعرف إن كان لديك أو إن لم يكن لديك موهبة التعليم، أو إن لم يكن لديك الشجاعة والإيمان لتُحاول أن تُعلم صف مدرسة الأحد أو درساً في الكتاب المُقدس؟

٧- إِمْنَحْ نَفْسَكَ وَقْتاً لِتَنْمِيَةِ الْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي تَنْظُنُّ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ أَعْطَاكَ إِيَّاهَا.
فَاخْتِبَارٌ سَلْبِيٌّ وَاحِدٌ يَفْشَلُ فِي مُحَاوَلَةِ إِعْطَاءِ دَرْسٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لَا يَعْنِي أَنَّكَ لَا
تَتَمَتَّعُ بِمَوْهَبَةِ التَّعْلِيمِ.

٨- قُمْ بِتَكْرِيسِ مَوَاهِبِكَ الرُّوحِيَّةِ لِلَّهِ الَّتِي مَنَحَكَ إِيَّاهَا، وَالَّذِي هُوَ الْقُوَّةُ الْكَامِنَةُ وَرَاءَ هَذِهِ
الْمَوَاهِبِ، وَالَّذِي يُشَكِّلُ مَجْدَهُ هَدَفَ كُلِّ هَذِهِ الْمَوَاهِبِ.

الخطوة الثامنة

إبحث عن نموذج

بما أن الله هو إله ترتيب، وبما أن "بصمة إبهام" الله يمكن أن تثرى في حُطّة خليقته الخارقة للطبيعة، ينبغي علينا أن نتوقع أن نرى ترتيباً ونظاماً في طريقة إعلان الله عن مشيئته لحياتنا.

في سفر الأعمال، نقرأ أن الرَسُول بُطْرُس رأى في رؤيا ملاءة أو ثوباً مملوءاً بالحيوانات، التي كان ناموس موسى يمنع أكلها على اليهوديّ المتديّن (أعمال ١٠). ولقد قيل لبُطْرُس ثلاث مرّات بأن يذبح ويأكل من هذه الحيوانات النجسة. ولكن بُطْرُس رفض ذلك في كلّ مرّة. ثمّ سمع صوت أناس يقرعون الباب. فأخبره الروح القدس أن يذهب مع الرجال الذين كانوا يقرعون الباب، بدون أن يطرح أيّ سؤال عن سبب مجيئهم وسؤالهم عنه. وسرعان ما علم بُطْرُس أنهم كانوا أممّاً. فلقد كانوا حُدّام قائد مئة في الجيش الرومانيّ الذي كان يحتلّ أرضهم ويسيطر عليها بقسوة.

لن ينظر بُطْرُس إلى هذه السلسلة من الأحداث كمجرد سلسلة من المصادفات، بل رأى فيها سلسلة من الأحداث التي شكّلت نموذجاً من الإرشاد الإلهي. فلقد أعلن إختيار بُطْرُس في النهاية الحقيقة المجيدة أن إنجيل يسوع المسيح لم يكن لليهود فقط، بل لكلّ إنسان في كلّ أمّة على الأرض.

يُخبرنا سفر الأعمال بقصة مشابهة عن كيف كان المُبشّر فيلبس يقوم بحملة تبشيرية مثمرة جداً في السامرة، عندما قاده الروح ليخرج إلى بريّة غزّة (أعمال ٨). رغم أن المُبشّرين يذهبون عادةً إلى الأماكن المكتظة بالسكان، لكنّ فيلبس أطاع قيادة الروح.

عندما أطاع فيلبس الروح القدس، التقى بوزير المالية الأثيوبية، الذي كان يجتاز الصحراء في عربّة. فدعى فيلبس ليصعد إلى عربّة الوزير الأثيوبي، وإستطاع بعد ذلك أن يفود السياسيّ الإفريقيّ إلى الإيمان بالمسيح، ومن ثمّ عمّده.

يُخبرنا تاريخ الكنيسة عن كنيسة قوية تأسست في شمالي إفريقيا، بسبب توبة وتجديد هذا السياسيّ الأثيوبي. فلقد قاد الروح القدس المزيد من الأشخاص في إفريقيا بواسطة هذا

الرَّجُلِ الْأَثْيُوبِيِّ، أَكْثَرَ جَدًّا مِمَّا كَانَ فَيَلْبَسُ سَوْفَ يَقُودُ لِلإِيمَانِ فِي السَّامِرَةِ. فَهَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ فَيَلْبَسَ ظَنَّ أَنَّ كُلَّ هَذَا السِّينَارِيوِ كَانَ مُجَرَّدَ مُصَادَفَةٍ، أَمْ نُمُودَجًا عَنِ الإِرْشَادِ الإِلَهِيِّ؟

هَاتَانِ قِصَّتَانِ مِنْ بَيْنِ عِدَّةِ قِصَصِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، الَّتِي تُبْرِهِنُ نَمَازِجَ عَنِ الإِرْشَادِ الإِلَهِيِّ. فَعِنْدَمَا تَطْلُبُ مَشِيئَةَ اللَّهِ، فَتَنْشُ عَنْ هَكَذَا نَمَازِجَ. قَدْ لَا تَكُونُ هَذِهِ النَّمَاذِجُ خَارِقَةً لِلطَّبِيعَةِ أَوْ غَيْرِ إِعْتِيَادِيَّةٍ بِشَكْلِ وَاضِحٍ، وَلَكِنَّهَا سَتَكُونُ بُرْهَانًا عَنِ الْمُعْجَزَةِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ اللَّهَ يَقُودُ مِنْ خِلَالِ نَمَازِجَ. إِبْحَثْ عَنِ نَمَازِجَ عِنْدَمَا تَكُونُ بِصَدَدِ التَّفْتِيْشِ عَنِ مَشِيئَةِ اللَّهِ.

الخطوة التاسعة

إبحث عن تأكيد

هناك أوقات يتوجب فيها علينا أن نبحث عن تثبيت أو تأكيد، خلال طلبنا لمعرفة إرادة الله. خلال رحلاتنا في حياة الإيمان، غالباً ما نصل إلى مفترق طرق، حيث أننا ببساطة لا نعرف إرادة الله. فلا يوجد عدد في الكتاب المقدس يمكن أن نخبرنا أن نذهب إلى اليمين أو إلى اليسار، عندما لا يكون لدينا حث ولا إرشاد من الروح القدس. نحن نبذل فصارى جهدنا لننخذ القرار الصحيح، بينما نعترف بالحقيقة المرة أننا ببساطة نجهل الطريق الذي ينبغي أن نسلكه. وبعد أن نكون قد قمنا بكل ما يمكن فعله لنميز مشيئة الله، ننهي بسؤالك طريق من الطريقين.

رغم أنه لا يوجد عدد واحد في الكتاب المقدس نخبرنا أي طريق ينبغي أن نسلك، يوجد عدد في الكتاب المقدس، الذي يمكنه أن يعطينا بصيرة يمكننا استخدامها كمبدأ مُساعد عندما نجد أنفسنا في هكذا مفترق طرق. تُعزِّز إحدى الترجمات لهذا العدد المأخوذ من سفر المزامير بالطريقة التالية، "من قبل الرب تتبنت خطوات الإنسان." (مزامير ٣٧: ٢٣). هذا يعني أنه علينا أحياناً أن نتقدم إلى الأمام، نحو ما ندرك أنه إرادة الله، مُصلين وباجئين عن تأكيد وتثبيت لذلك.

هذا التأكيد يمكن أن يكون إيجابياً أو سلبياً. إن كان كل شيء يعمل بالطريقة الصحيحة، وإن كان الاتجاه الذي اخترناه يحمل بوضوح ختم موافقة الله عليه، فبإمكاننا القول أن الله أعطانا تأكيداً إيجابياً عن مشيئته. لدينا الإقتناع أن الله يقول لنا، "هذه هي الطريق، اسلكوا فيها." (إشعيا ٣٠: ٢٠، ٢١). وبعد أن نلتزم باتجاه معين، نرى البراهين أن المسيح الحي قد سبقتنا وحضر الطريق لنا (يوحنا ١٠: ٤).

أحياناً، يكون التأكيد سلبياً، وتكون النتائج عكس ما وصفته لكم أعلاه. عندما يحدث هذا، علينا أن نتضع بشكل كافٍ لنرجع إلى مفترق الطرق ونختار الطريق الآخر.

الخطوة العاشرة

انتظر الرب

الله ليس على عجلة من أمره. ونحن غالباً ما نُفَوِّتُ على أنفسنا قيادة الربِّ لنا، لأننا نركُضُ بعيداً، مُوجِّهين بشكلٍ مُضطربٍ الربَّ لكي يُلاحقنا في تيهاننا في الرحلة أو الخطبة التي رسمناها لحياتنا. من هنا جاءت الحاجة للعبارة القائلة، "انتظر الرب"، والتي غالباً ما نجدُها في كلمة الله.

يتطلب الانتظار إيماناً أكثر ممَّا يتطلبه النشاط والعمل. ووصفه الله للإرشاد لأشخاص أمثال يعقوب، هي أن ننتظر الرب. لقد كان يعقوب بأمس الحاجة إلى معرفة إرادة الله لحياته، لأنه كان دائماً يركُضُ تائهاً أمام الرب.

اقرأ قصة يعقوب في سفر التكوين، الإصحاحات ٢٥ إلى ٣٢، وكذلك تعليق بولس على هذه القصة في الإصحاح التاسع من رسالة رومية. فبينما تقرأ كيف جعل الله من يعقوب أعرج لكي يتوجه ببركة مشيئته، سوف ترى الإيضاح العظيم عما يعنيه انتظار الرب. فعندما يصبح شخصٌ تقياً أعرج، ماذا بإمكانه أن يفعل غير انتظار الرب؟

في سفر المزامير، توجد كلمة "سلاه" في ثلاثة وسبعين مكاناً. إحدى الترجمات المعاصرة لهذه العبارة هي، "توقف وتأمل بهدوء بهذا." وغالباً ما يضع الله عبارة "سلاه" في حياتنا اليوم، بينما يقودنا في رحلات إيماننا. فالله لديه أسبابه الخاصة لجعلنا نهدأ ومنتظر. فقد يكون يريدنا أن نتوقف ونفكر بهدوء حول أولوياتنا، وحول أهداف رسالتنا، وحول قضايا أخرى، بينما نختبر مشيئته لحياتنا.

عندما نلتقي بواحدة من عبارات الله القائلة "سلاه"، علينا دائماً أن نسأل ماذا يريد الله منا أن نفعل في توقفنا وتأملنا بهدوء في هذه المرحلة. وعلينا أن لا نتعجب أبداً عندما يضع الله في حياتنا وقفة في رحلتنا الإيمانية. تذكر أن الله قد يستخدم هذه الوقفة في مخططاتك ليحضر لك لأمر أكثر أهمية في خطته. (أنظر حياة يوسف، تكوين ٣٩ - ٤٠)

الخطوة الحادية عشر

تابع التّقدّم

الكتاب المقدّس مليء بالمفارقات، أي بما يُظنُّ أنّه مُتناقضات. وما هي إلا مُتناقضات ظاهريّة، تبدو وكأنّها مُتناقضات حقيقيّة، ولكن عندما تتفحصها عن كُنْه، تكتشف أنّه لا يوجد فيها أيُّ تناقض. تُوجد أوقات تُكون فيها هذه المفارقات غير مُتناقضة بتاتاً، لأنّ النقيضين يكونان كلاهما على حقّ. وقد يكون أنّ المفارقات التي تبدو وكأنّها مُتناقضة، سرعان ما يُوجد حلٌّ لتناقضها، عندما ندرك أنّ القضيّة ليست إمّا الواحد أو الآخر بل الإثنين معاً. فالمفارقة سرعان ما يُحلُّ تناقضها عندما يجوز الوجهان.

قد نفوّت على أنفسنا معرفة إرادة الله، وذلك لأننا على عجلة من أمرنا، أمّا الله فليس مُستعجلاً. عندما تكون هذه هي الحال، نحتاج أن ننتظر الرّب. وقد نفوّت إرادة الله في مناسبات أخرى، لأننا نجلس مُستريحين على موقع عدم إيماننا، بتردّد وفثور وجبن، وهكذا يُتابع الرّب التّقدّم بدوينا. هذان المفهومان المتفارقان ليسا مُتناقضين بالحقيقة. فليست القضيّة إمّا الواحد أو الآخر، بل يجوز الإثنين معاً. فالحقيقة هي أننا أحياناً نحتاج أن ننتظر الرّب وأحياناً أخرى نحتاج أن نتابع التّحرّك.

لدينا عدو يقصد بنا شرّاً، ألا وهو الشيطان. وستراتيجيته الأولى هي أن يجعل منا كسالى، مُترددين، فاترين رُوحياً، ممّا سيجعلنا نفوّت على أنفسنا معرفة إرادة الله، بسبب إفتقارنا إلى الإيمان، الشجاعة، والإنضباط لتتبع إرشاد الرّب. وإذا فشلت في محاولته هذه، سوف يُحوّلنا إلى مهووسين مُدمنين على العمل مُكرهين، ممّا يجعلنا نفوّت على أنفسنا معرفة إرادة الله، لأننا نُصارغ للحصول على ما هو بعيد عن منالنا، وعلى إرادته لحياتنا، وكأننا نركض أمام الرّب، ولكننا سابقين إياه بمسافة طويلة.

من الواضح أننا جميعاً نحتاج إلى توازن بين هذين الطرفين اللذين يجعلاننا حذاماً ناضجين للرّب، فنُصبح قادرين على تمييز مشيئته.

الخطوة الثانية عشرة

أطلب مشورة رُوحية

يُوجدُ عددٌ في سفرِ الأمثال يتكرَّرُ مرَّتين، ويقول، "حيثُ لا تدبِّر يسفُطُ الشعبُ، أمَّا الخلاصُ فبِكثرةِ المُشيرين." (أمثال ١١: ١٤؛ ٢٤: ٦). إنَّ هذا القولَ الحكيمَ لا يعني أنه يتوجَّبُ علينا أن نستشيرَ الكثيرَ من المُشيرين عندما نصلُ إلى مُفترقِ طُرُقٍ، كما ذُكرتُ سابقاً. فهذا قد يُؤدِّي إلى التَّشويشِ، لأنَّ إكثارَ المُشيرين سيؤدِّي إلى كثرةِ الآراءِ حيالَ قرارنا الصَّعبِ.

عندما قامَ سُلَيْمانُ الحكيمُ الذي كتبَ سفرَ الأمثال بكتابةِ هذينِ التَّصريحينِ، قصدَ بهما تعليمَ حقيقتينِ أساسيتينِ. في واحدٍ من هذينِ المثلينِ، نفراً أنه عندما تذهبُ أمتانِ ليتَّحاربا معاً، فإنَّ الأُمَّةَ التي لديها عددٌ أكبرُ من المُستشارينِ، سوفَ تربحُ الحربَ على الأرجحِ. أمَّا في المثلِ الثاني، فنقرأُ أننا عندما نصلُ إلى مُفترقِ طُرُقٍ في حياتنا، حيثُ سنحتاجُ إلى قرارٍ في أيِّ إتجاهٍ سنمضي، فإن كانَ لدينا الكثيرُ من المرشدينِ في حياتنا، بكلماتٍ أخرى، إذا حَظينا بثقافةٍ رُوحيةٍ جيِّدةٍ، فسوفَ نُحسِنُ إتخاذَ القرارِ الصَّعبِ.

يُوجدُ عددٌ جميلٌ في نُبوةِ إشعيا، الذي يُحدِّدُ ويبرزُ واحدةً من منافعِ الثقافةِ الرُوحيةِ الجيِّدةِ. يُخبرنا إشعيا أننا إذا حَظينا بكثرةٍ من المرشدينِ الرُوحيينِ في حياتنا، فعندما سنصلُ إلى مُفترقِ الطُّرُقِ، سوفَ نسمعُ أصواتَ هؤلاء المرشدينِ يقولونَ لنا، "لا تذهبوا في ذلك الطريق، بل في هذا الطريق." (إشعيا ٣٠: ٢٠، ٢١).

بينما أُعدِّدُ اليومَ البركاتِ التي تمتعتُ بها، أشعرُ بالمَمْنُونِيَّةِ أنِّي في رحلةِ إيماني، تمتعتُ بمرشدينِ غيرِ إعتياديينِ، الذين أُرشدوني وزوَّدوني بالنصيحةِ الحكيمةِ، في مُفترقاتِ طُرُقٍ حاسمةٍ جداً في حياتي وخدمتي.

تُوجدُ أوقاتٌ لا يكونُ من السَّهلِ فيها أن تُميِّزَ فيها إرادةَ اللهِ لحياتك، التي هي بالمعنى الحاضرِ للكلمةِ القصدُ من خلاصِكَ. لهذا، من الحكمةِ لك أن تطلبَ مشورةَ مؤمنين يتقدَّمونك في السِّنِّ، الذي إعتادوا أن يطلبوا مشيئةَ اللهِ لسنواتٍ طويلةٍ ويجدونها.

تتحرك الكنيسة وسط العالم كموكب من السفن، في تشكيلة كاملة، متناسقة بشكلٍ خارق للطبيعة بواسطة الروح القدس. والمسيح الحيّ المقام هو بمثابة السفينة الرئيسة التي ترفع العلم، أي سفينة قائد الأسطول – وهي تتوسط هذا الموكب وترسل إشارات لسفن الموكب طوال الوقت. فإذا ثبتت عينيك على سفينة الأدميرال التي تحمل العلم، وإذا تابعت بأخذ إشارتك من هذا القائد، فسوف تكون في انسجام مع هذه التشكيلة، وسوف تكون جزءاً من عمله العظيم في هذا العالم. ولكن، إن لم تثبت عينيك على سفينة الأدميرال، وإذا فوتت على نفسك إبتلام إشاراتها، فإن عمل المسيح سوف يستمر بدونك، بينما أنت تدور حول نفسك، متلمساً طريقك خارج تشكيلة السفن، وبدون انسجام مع هذا الأسطول الرائع.

الأشخاص الذين يعرفون أنفسهم كخدامٍ للمسيح، ليسوا أشخاصاً غير اعتياديين لكونهم لا يفوتون أية إشارة من القائد. ولكن كخدام المسيح العظماء، الذي يستخدمهم الله اليوم، والذين استخدمهم عبر تاريخ الكنيسة، كانوا دائماً رجالاً ونساءً من الذين لم يقبلوا إشارات القيادة في حياتهم من حضاراتهم. بل هم الآن، كما كانوا دائماً، كخداماً للرب الذي تثبتوا أعينهم على سفينته القيادية التي ترفع العلم، وقبلوا إشارات القيادة من المسيح الحيّ المقام.

أختم هذا الفصل عن الإرشاد الإلهي بالطريقة التي بدأته بها، مُشديداً على معجزة كوننا ينبغي أن نكون في مكانٍ ما في مسيرتنا مع المسيح، والله يريد أن يعلمنا بمكاننا هذا. أصلي لتكون هذه الخطوات الإثنتي عشر مساعداً لك لتثبت عينيك على سفينة الأدميرال القائد، المسيح الحيّ المقام، الذي سيفؤدك إلى مشيئة الله لحياتك، هذه المشيئة الصالحة المرضية والكاملة. هذه الحياة هي وحدها الحياة المقبولة عند الله الذي خلقك، وأعاد خلقك ثانيةً روحياً لكي تحيا هذه الحياة. (رومية ١٢: ١-٢)

الفصل الثاني

"وصفة للهوية"

إنَّ الله يُريدنا أن نَكُونَ في مَكَانٍ مُعَيَّنٍ، وأن نَكُونَ ذَوِي هُويَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. وأوْدُ الآنَ أن أُرَكِّزَ على ثمانية أسئلة يطرحها الله علينا في الكتاب المقدس، التي تُرينا أين، ماذا، وخاصةً من يُريدنا الله أن نَكُونَ. وأنا أُسمِّي هذه الأسئلة الثمانية بالبوصلية الروحية. فإن كُنَّا سنسمح لله أن يطرح علينا هذه الأسئلة الثمانية، وإذا أجبنا عليها بروح الصلاة، سوف نجد أنفسنا نقيم حواراً مع الله. وسوف يصح هذا خاصةً على المراحل الانتقالية التي يتوجب علينا اجتيازها في حياتنا وخدمتنا.

أولُ أربعة أسئلة من هذه الأسئلة الثمانية، هي الكلمات الأولى التي خاطب بها الله الإنسان الساقط: "وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت". (تكوين 3: 8-13).

أليس من الغريب أن الخالق يطرح أسئلة على خليقته؟ بالطبع، الخالق يعرف الأجوبة على الأسئلة التي طرحها. فإله يعرف أين هو الإنسان. ولكن المشكلة هي أن الإنسان لا يعرف أين هو. وأول ما يحتاج الإنسان الساقط أن يعرفه، هو أنه ساقط. وما أبرزناه هنا، هو حوار بين الله والإنسان، حيث يطرح الله أسئلة على الإنسان، لأن الإنسان بحاجة أن يفكر بمكان وجوده، إلى أن يدرك أنه ساقط وليس موجوداً حيث يفترض به أن يكون.

ككل شيء آخر في سفر التكوين، لا تصف هذه الأسئلة هذا الحوار بين الله والإنسان كما كان عليه في الماضي فحسب، بل وأيضاً كما هو عليه الآن. هل سبق واختلجك الشعور بأن الله يريدك أن تكون في مكان ما، ولم تجد نفسك موجوداً فيه؟ وهل سبق وأزعجتك فكرة عدم كونك الشخص الذي يريدك الله أن تكونه؟ بإمكانك أن تسمي هذه المشاعر بأزمة

الهُويَّة. بِحَسَبِ مُوسَى، مَا يُسَمَّى بِأرْمَةِ هُويَّتِكَ، قَدْ يُشَكِّلُ بِالنِّسْبَةِ لَكَ صَوْتَ اللَّهِ، مَا شِئاً فِي جَنَّةِ حَيَاتِكَ، مُتَحَدِّياً إِيَّاكَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْأُولَى الَّتِي وَجَّهَهَا اللَّهُ لِلإِنْسَانِ السَّاقِطِ. "أَيْنَ أَنْتَ؟"

إِنَّ الْقَصْدَ مِنَ السُّؤَالِ الْأَوَّلِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ حَيْثُ يُرِيدُهُ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ. وَالْقَصْدُ مِنَ سُؤَالِهِ الثَّانِي، "مَنْ أَخْبَرَكَ؟" هُوَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُدْرِكَ الإِنْسَانُ أَنَّ إِلَهَهُ يُحَاوِلُ أَنْ يُقِيمَ حِوَاراً مَعَهُ. فَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعْتَرَفَ الإِنْسَانُ بِالذِّي يُصْغِي لَهُ، وَبِالتَّحْدِيدِ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي بِتَوْجِيهَاتِهِ. هَذَا السُّؤَالُ الثَّانِي يُوجِّهُ أَدَمَ وَزَوْجَتَهُ رُجُوعاً إِلَى حَيْثُ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الْخَطَا، وَكَيْفَ أَنْهُمَا عَرَفَا مُبَاشَرَةً أَنَّهُمَا كَانَا عَرِيَانَيْنِ (٧).

قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ اللَّهُ هَذَا الْحِوَارَ بِهَذِهِ الْأَسْئَلَةِ، كَانَ يَتَوَاصَلُ مَعَ أَدَمَ وَحَوَاءَ. وَالْقَصْدُ مِنَ السُّؤَالِ الثَّانِي كَانَ أَنْ يَجْعَلَهُمَا يَنْتَبِهَانِ لِتِلْكَ الْمُعْجَزَةِ. فَهُمَا لَمْ يَكُونَا مُدْرِكَيْنِ لَكَوْنِ اللَّهِ يَجْعَلُهُمَا يَعْلَمَانِ مَا يُرِيدُهُمَا أَنْ يَعْلَمَا. فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ لَا تَكُونَ عَالِماً بِمُعْجَزَةِ اللَّهِ بِأَنْ يَجْعَلَكَ تَعْلَمُ مَا يُرِيدُكَ أَنْ تَعْلَمَهُ؟

تفسيرِي الْخَاصَّ لِلسُّؤَالِ الثَّلَاثِ هُوَ: "هَلْ كُنْتَ تَأْكُلُ مِنَ الأشْجَارِ الْخَطَا، أَيْ الَّتِي قُلْتَ لَكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟" وَيُمْكِنُ تَفْسِيرُ هَذَا السُّؤَالِ أَيْضاً بِالْقَوْلِ، "هَلْ كُنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الْأَجْوِبَةِ فِي الْمَكَانِ الْخَطَا؟" لَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ شَجَرَاتٍ جَنَّةً عَدَنَ لِتُلَبِّيَ حَاجَاتِ الإِنْسَانَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ. وَإِذَا تَفَحَّصْتَ الإِطَارَ الَّذِي جَرَى فِيهِ هَذَا الْحِوَارِ، تَرَى أَنَّ حَاجَاتِ الإِنْسَانِ وَالْمَرَأَةِ كَانَتْ سَتُلَبِّيَ بِوَأَسْطَةِ شَجَرَاتِ الْجَنَّةِ، بِتَرْتِيبٍ دَقِيقٍ لِلأُولَوِيَّاتِ (تِك ٢: ٨، ٩).

كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُلَبِّيَ أَشْجَارُ الْجَنَّةِ إِحْتِيَاجَاتِ الْعَيْنِ، وَالْحَاجَةَ لِلغِذَاءِ وَالْحَاجَةَ لِلْحَيَاةِ نَفْسِهَا. فَشَجَرَةُ الْمَعْرِفَةِ أُعْلِنَتْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عَلَى أَنَّهَا حَطُّ أَحْمَرٍ، أَيْ أَنَّهَا مَمْنُوعَةٌ. فِي الإِصْحَاحِ الثَّلَاثِ، عِنْدَمَا أَخْطَأَ أَدَمُ وَحَوَاءُ، إِنْتَهَكَا هَذِهِ الْأُولَوِيَّةَ الْمَوْصُوفَةَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ. فَالإِنْسَانُ وَالْمَرَأَةُ الْأَوَّلَيْنِ كَانَا يَضَعَانِ إِحْتِيَاجَاتِهِمَا الْجَسَدِيَّةَ، أَوْ الْحَاجَةَ لِلغِذَاءِ أَوَّلًا، وَجَعَلَا مِنْ حَاجَةِ الْعَيْنِ أُولَوِيَّتَهُمَا الثَّانِيَّةَ. وَأَمَّا حَاجَتُهُمَا لِلْحَيَاةِ فَلَمْ تُلَبَّ أَبَدًا. فبدلاً مِنَ الْحَيَاةِ الَّتِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْتَبِرَهَا كُلُّ مَنْ أَدَمَ وَحَوَاءَ، إِخْتَبَرَا الْمَوْتَ وَالطَّرْدَ مِنْ أَمَامِ اللَّهِ، وَمِنْ جَنَّتِهِ.

لَمْ يَكُونَا مُذْنِبَيْنِ فَقَطْ بِوَضْعِ أُولَوِيَّتَيْهِمَا مَكَانَ أُولَوِيَّاتِ اللَّهِ، بَلْ أَيْضاً عَصِيَا أَمْرَ اللَّهِ وَأَكَلَا مِنْ شَجَرَةِ الْمَعْرِفَةِ. لَقَدْ كَانَ الدَّافِعُ لَدَى أَدَمَ وَحَوَاءَ هُوَ فِكْرَةُ أَنَّهُمَا إِذَا أَكَلَا مِنْ شَجَرَةِ الْمَعْرِفَةِ، سَيُصْبِحَانِ حَكِيمَيْنِ مِثْلَ اللَّهِ. وَالتَّطْبِيقُ الْمَجَازِيُّ عَلَى عَالَمِنَا الْيَوْمِ، هُوَ التَّشْدِيدُ الْمَفْرُطُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، وَإِعْطَاءِ إِهْتِمَامٍ ضَائِلٍ فَقَطْ لِلْحَاجَةِ إِلَى إِعْلَانِ مِنَ اللَّهِ.

كُلُّ هَذَا هُوَ مَجَازٌ. فَهَلْ سَبَقَ وَرَأَيْتَ شَجَرَةَ مَعْرِفَةٍ أَوْ شَجَرَةَ حَيَاةٍ؟ وَحَقِيقَةُ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ هِيَ إِضَاحٌ لِعِظَةِ عَظِيمَةٍ أَلْقَاهَا مُوسَى. فَلَقَدْ بَدَأَ يَسُوعُ خِدْمَتَهُ الْعَلْنِيَّةَ بِاقْتِبَاسِ مِنْ عِظَةِ مُوسَى هَذِهِ: "...لِكِي يُعْلِمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبِرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانَ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ

يحيا الإنسان." (تثنية ٨: ٣؛ متى ٤: ٤) فالحقيقة العميقة التي ركّز عليها موسى ويسوع، مُصَوَّرَةٌ مجازياً في هذه الأشجار الثلاث في جنة عدن.

في الكتاب المقدّس، تُشير العين إلى الذهنيّة، أو إلى الطريفة التي بها نرى ونفهم الأمور. علّم يسوع قائلاً: "سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطةً، فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك شريرةً فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذي فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون." (متى ٦: ٢٢، ٢٣). كان يسوع يعلم بوضوح أنّ حياتنا يمكن أن تكون مملوءة بالسعادة، أو بالكآبة والحزن. والفرق بين هذين التقيضين، هو الطريقة التي بها ننظر إلى الأمور، أي الذهنيّة، أو نظرتنا للحياة.

ينمّ تعليم هذه الحقيقة نفسها بطريقة مجازية في جنة عدن، عندما نُخبر أنّ هذه الشجرات ينبغي أن توفّر لنا احتياجاتنا. فجوهر الحقيقة التي يشاركنا بها الله هي: إذا اقتربنا من كلمة الله وطلبنا منه أن يلبي احتياجات عيوننا، أو أن يظهر لنا من خلال كلمته كيف ينبغي علينا أن نرى الأمور، سوف تلبي جميع احتياجاتنا. وستكون لنا حياة بينما يلبي الله حاجتنا الفصوى، التي هي حاجتنا ليرينا الله كيف يريدنا أن نرى كل شيء.

إنّ المغزى المجازي من شجرة المعرفة التي أكل منها آدم وحواء – والتي قال لهما الله أن لا يأكلا منها – تصوّر لنا الفلسفة الإنسانية التي نقول، "أنا لا أحتاج لإعلان من الله. لأنه لدي عقل يفكر، وهذا كل ما أحتاجه."

في بداية الكتاب المقدّس، يُخبرنا الله، أنا وأنت، أنّ خالقنا عالم بكل حاجة من حاجتنا، لأنّه هو الذي خلق فينا كل هذه الحاجات. فهو يعرف – وهو يريدنا أن نعرف – أنّ حاجتنا الكبرى هي حاجة العين. فنحن نحتاج أن نطلب من الله أن يمنحنا إعلاناً من خلال كلمته، الذي يريدنا كيف يريدنا أبونا السماوي أن نتعرف على حاجتنا وأن نلبيها.

فكما كان الأمر عليه من زمان، هكذا هو عليه الآن. فهل نفسيّر حاجتنا على ضوء كلمة الله، أم أنّنا نفسيّر كلمة الله على ضوء حاجتنا؟ فما هو الذي فعله الزوجان الفاشلان في جنة عدن؟ هل أكلا ثقافة؟ هل مارسا الجنس؟ إن قراءة حكيمة لهذا الإصحاح من سفر التكوين، مع طلب مساعدة تعليم الروح القدس، سوف يعلن هذا حقيقة أعمق جداً من تلك النظرات الخاطئة التي عرضناها أعلاه.

فالله يقول لنا – كما كان الأمر عليه من زمان، هكذا سيكون عليه الآن – أي أنّ آدم وحواء فسّرنا كلمة الله على ضوء احتياجاتهما. ولقد وضعا احتياجاتهما أولاً، وإعلان الله ثانياً. بكلمات أخرى، لقد قاما بما رغبا به، ومن ثم طلبا من الله أن يريهما أفكاراً عن كيف ينبغي أن تلبي احتياجاتهما.

لقد كانا يُشبهان مؤمناً إعتيادياً يستمعُ حاليّاً إلى كلمةِ اللهِ في كنائسنا. وطوالِ الأسبوعِ، يعملُ هذا المؤمنُ ما يُريدهُ، ويُقرّرُ كيفَ ينبغي أن تُلبّي إحتياجاته. ثمّ يأتي إلى الكنيسة ليسمعَ ما تقولُه كلمةُ اللهِ حولَ كيفَ ينبغي أن تُلبّي إحتياجاته. ولكن كانَ ينبغي أن يكونَ الأمرُ عكسَ ذلكَ تماماً. فعلياً أن نأتي أولاً إلى الله، ونطلبُ منه أن يُرينا كيفَ ينبغي أن تُلبّي إحتياجاتنا، وأن نكونَ مُستعدينَ للطاعة.

السؤالُ الرَّابِعُ "ماذا فعلتَ؟" وضعَ أمامَ الإنسانينِ الأوّلينِ تحديّاً بأن ينظرا إلى الوراءِ وأن يفكّراً بأعمالهما. القصدُ من هذا السؤالِ الرَّابِعِ كانَ إنترزاغَ إعتِرافِ منهما.

تعني كلمةُ إعتِرافٍ بحسبِ الأصلِ اليونانيِّ كلمتين: "التكلّمُ بالمثل." أن تعترفَ يعني أن "تقولَ المثل"، أو أن "توافقَ معَ الله." فكونهُ أبنا السّمَويِّ الكاملِ، اللهُ يعرفُ ماذا فعلنا، ولكنّ اللهُ يريدُ أن يسمعَنا نقولُ مثلهُ حيالَ ما فعلناه. هل عملتَ ذلكَ معَ أولادِكَ؟

أنا أجدُ السؤالَ الخامسَ العظيمَ الذي طرحهُ اللهُ لاحقاً في سفرِ التكوين. فلقد سألَ جاريةً مصريةً اسمها هاجر، "من أين أتيتِ وإلى أين تذهبين؟" (تكوين ١٦ : ٨) وهذا سؤالٌ حاسمٌ عن الإِتجاه. فاللهُ يحبُّ أن يسألنا هذا السؤالَ خلالَ الأيامِ الأخيرةِ والساعاتِ الأخيرةِ من حياتنا، عندما نكونُ في حالةِ إنتقاليةٍ أو نعتقدُ أننا كذلك. هذا السؤالُ الخامسُ يتحدثُنا أن ننظرَ إلى الخلفِ وأن نربطَ بينَ ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا. تبدأُ الأخبارُ السارّةُ بالإنّشارِ عندما يطرحُ اللهُ علينا هذا السؤالَ الخامسَ. فالإنجيلُ (أو الأخبارُ السارّةُ) للكاتبِ المُقدّسِ بكامله، هو أننا لا نحتاجُ أن نرجعَ إلى المكانِ الذي أتينا منه. يعتقدُ الملايينُ اليومَ أن حاضرنا وماضينا مُتنبأٌ عنهما بماضينا. إنّ "التحليلَ العاجزَ" يُعلنُ الأخبارَ السيئةَ أننا سوفَ نرجعُ دائماً إلى المكانِ الذي جئنا منه.

رغمَ أنّ السؤالَ الخامسَ يُشيرُ عرَضاً إلى الأخبارِ السارّةِ، ولكنّه يقدّمُ أيضاً حقيقةً مرّوعةً. فإن لم يكنْ لدينا حدتٌ مُغيّرةٌ لحياتنا، عندها فإنّ مستقبلنا سوفَ يتقرّرُ على أساسِ ماضينا. يُعلّمُ الكتابُ المُقدّسُ أنّ النَّاسَ لا يُغيّرونَ أنفسهم، ولا يستطيعونَ حتّى أن يُغيّروا أنفسهم إذا أرادوا. يسخرُ إرميا من مُحاولاتنا لتغييرِ أنفسنا: "هل يُغيّرُ الكُوشي جلدَه أو النمرُ رُقْطَه. فأنتم أيضاً تقدرونَ أن تصنعوا خيراً أيّها المتعلّمونَ الشرّ." ١٣ : ٢٣، كما يُعبّرُ الفلاسفةُ اليونانُ عن هذه الحقيقة، "كما الآن، كذلك لاحقاً."

إنّ إنجيلَ الكتابِ المُقدّسِ، على أيّةِ حال، هو مُتفائلٌ وإيجابيٌّ عندما يُعلنُ هذه الحقيقةَ المَجديةَ: نستطيعُ أن نأتي إلى اللهِ بالإيمان، ونستطيعُ أن نتغيّرَ! (٢كورنثوس ٥ : ١٧؛ ٣ : ١٨؛ رومية ١٢ : ٢).

أنا أجد السؤال السادس العظيم الذي طرحه الله، أجدّه لاحقاً في سفر التكوين، حيث سأل الله شقيقين، "من أنتم؟" (تكوين ٢٧: ١٨، ١٩، ٣٢ - ٣٤). هذا السؤال يُشير إلى السؤال السابق، بطرح السؤال والإجابة عليه، "تغيّر إلى ماذا؟" هذا السؤال يتضمن أنه يتوجب علينا أن نكون أحداً ما. تماماً كما تضمن السؤال الأول أنه يتوجب علينا أن نكون في مكان ما، وقد لا نكون في ذلك المكان، يتضمن السؤال السادس أنه ينبغي علينا أن نكون أحداً ما، ولربّما نحن لسنا من ينبغي أن نكون.

عندما سئل عيسو، "من أنت؟" إنتحب وبكى، لأنه كان قد باع بُكوربيته أو هويته لأجل طبق من الحساء. وعندما طرح هذا السؤال نفسه على يوحنا المعمدان، أجاب ذلك النبي العظيم بأجوبة صحيحة (يوحنا ١: ١٩ - ٢٣). لقد عرف من هو، وكذلك عرف أيضاً من ليس هو. ولم يسمح لضغط المجتمع أن يملّي عليه أو يفحّمه ليذّعي أو يحاول أن يكون من لم يقصد له الرب أن يكونه.

الجواب الصحيح أو غياب الجواب الصحيح على السؤال السادس، لربّما هو السبب الرئيسي للكآبة أو عدم سعادة الفرد في العالم اليوم. وكوني قسيساً لأكثر من نصف قرن، أستطيع القول أنّ هذه الحالة تنطبق أيضاً على المؤمنين.

فإن كنت تعاني من كآبة شخصية كمؤمن وكتابع ليسوع المسيح، فإنّ إلهك المحب يود أن يحثك وأن يحضك بهذا السؤال السادس حتى تدرك أنّ الله خلقك، وأعاد خلقك روحياً، لكي تكون ذلك الشخص الذي يريدك أن تكونه. فالله يريد أن يحركك ويجعلك تفكر، إلى أن تستخدم هذا السؤال السادس لجعلك تعرف أنّك لن تكون أبداً سعيداً، إلى أن تقول، بِنعمة الله، أنّك أصبحت ذلك الشخص الذي خلقك الله وأعاد خلقك ثانية لتكونه. (مزمور ١٣٩: ١٦ - ٢٤؛ رومية ١٢: ١، ٢).

أجد أنّ السؤال السابع "ما أنت؟" متضمن في تصريحات قدمها أشخاص مثل الرسول بولس، عندم أخبرنا قائلاً، "بِنعمة الله أنا ما أنا." (١ كورنثوس ١٥: ١٠). وهو يشكر الله أنه لم ينل النعمة ليكون ما هو عبثاً، ويحثنا لنرى أننا لم نقبل نعمة الله باطلاً.

وما نحن عليه متضمن في نماذج سير حياة أشخاص مثل موسى، الذين دعاهم الله وأهلهم ليكونوا مُنقذين، ملوكاً، أنبياء، كهنة، أو أي نوع آخر من القادة في عمل الله. وعلينا أن نربط هذا السؤال وأجوبته مع تعليم بولس الذي يقول أننا خالصنا "لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها." (أفسس ٢: ١٠)

هذا السؤال السابع يتعلّق بمواهبنا الروحية والطبيعية، وبخدمتنا للرب كسراج أقامه الله في هذا العالم لننير من خلاله. يتعلّق هذا السؤال بما نعمه طوال النهار. وبما أننا كائنات

بَشْرِيَّةٌ ولسنا مَصْنُوعَاتٍ بَشْرِيَّةٍ، فَمَنْ نَحْنُ هُوَ أَكْثَرُ أَهْمِيَّةٍ مِنْ مَاذَا نَحْنُ وَمَا نَعْمَلُهُ طِوَالَ النَّهَارِ. فالذي نَعْمَلُهُ مُرْتَبِطٌ مُبَاشِرَةً بِمَا نَحْنُ.

السُّؤالُ التَّامِنُ والأخِيرُ هُوَ "ماذا تُريدُ؟" هذه هي كَلِمَاتُ يَسُوعَ الأُولَى التي دُوِّنتَ في إنجيل يُوحنَّا، عندما كان يُجَنِّدُ تلاميذَ كَلَّفَهُمْ لاجِحاً لِيَكُونُوا رُسُلَهُ (يُوحنَّا ١ : ٣٨).

عندما نَسْمَحُ لِلَّهِ أَنْ يُسَلِّطَ كُلَّ هذه الأَسْئَلَةِ على خَفايانا الرُّوحِيَّةِ، إلى أن تُظهِرَ لَنَا هذه الأَسْئَلَةَ مِنْ، ماذا، وأين يُريدنا اللهُ أن نَكُون، يُصِحِّحُ السُّؤالُ الصَّعْبُ عندها: "ماذا تُريدُ؟" وكم تُريدُ هذا الشَّيْءُ؟"

لقد خَلَقَكَ اللهُ لَتَكُونَ خَلِيقَةً ذاتِ خَيارِ. وَهُوَ يَعْرِفُ أَيْنَ أَنْتَ، وَمِنْ أَنْتَ، وَمَاذَا أَنْتَ. وَاللهُ يَعْرِفُ أَيْضاً مِنْ، وَمَاذَا، وَأَيْنَ يُريدُكَ أن تَكُونَ. وبما أَنَّهُ يُحِبُّكَ، فَهُوَ يُريدُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ أَنْ تَكُونَ لَدَيْكَ الأَجوبَةُ على هذه الأَسْئَلَةِ.

فاللهُ يُكْرِمُ كَوْنَنَا خَلائِقَ ذاتِ خَيارِ، وبمعنى ما، لن يجعلنا أبداً نُعْطِيهِ الأَجوبَةَ الصَّحِيحَةَ على هذه الأَسْئَلَةِ! فإذا تَكَلَّمنا مَجازِيّاً، قد يُعامَلنا اللهُ كما عامِلَ يُونانَ، وقد يُرسلُ عواصِفَ إلى حَيَاتِنَا، أو حتَّى قد يُدخِلنا إلى بَطْنِ حُوتٍ أو سَمَكَةٍ كَبِيرَةٍ، إلى أن نُعْطِيَهُ الأَجوبَةَ الصَّحِيحَةَ على هذه الأَسْئَلَةِ. وقد يَضْغَطُ عَلَيْنَا بِشِدَّةٍ إلى أن يُصِحِّحَ الشَّيْءَ الوَحِيدَ المَعْقُولَ الذي يَنْبَغِي عَلَيْنَا أن نَعْمَلَهُ هُوَ أن نُعْطِيَهُ الأَجوبَةَ الصَّحِيحَةَ على هذه الأَسْئَلَةِ. وقد يَتَدَخَّلُ في حَيَاتِنَا كما تَدَخَّلَ في حَيَاةِ الرَّسُولِ بُولُسَ على طَريقِ دِمَشقَ. لِأَنَّهُ يُحِبُّنَا، وقد يُقَدِّمُ لَنَا حَلاً لا نَسْتَطِيعُ رَفْضَهُ، ولكن كما كانتِ الحالُ مَعَ يُونانَ وبُولُسَ الرَّسُولِ، عَلَيْنَا أن نَخْتارَ أن نجعلَ إرادَتنا تَنسَجِمُ مَعَ إرادَةِ اللهِ، وأن نَكُونَ مِنْ يُريدنا اللهُ أن نَكُونَ، وأن نَعْمَلَ ما يُريدنا اللهُ أن نَعْمَلَهُ.

عندما خَلَقنا اللهُ كَمخلُوقاتِ ذاتِ خَيارِ، خَلَقنا على صُورَتِهِ ومِثَالِهِ. إن خَلائِقَ اللهُ العَظيمةَ كالشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجُومِ، ليسَ لَدَيْها خَياراتٌ لِيَتَّخِذَها (مزْمُور ٨؛ ١٩). وكذلك مَخلُوقاتُ اللهُ الصَّغيرةَ جداً ليسَ لَدَيْها خَياراتٌ كذلك. والنَّحْلُ الذي يَكُونُ في القَفِيرِ وكافَّةِ أَشكالِ الحَيَاةِ التي نراها بواِسطَةِ المِجْهَرِ، جميعُها لا تَتَّخِذُ خَياراتٍ.

عندما نُلَاحِظُ خَلِيقَةَ اللهِ مِنْ خِلالِ تِيلِيسكُوبِ أو مِيكروِسكُوبِ، نُلَاحِظُ نَظَماً عَجيباً، لِأَنَّ إرادَةَ اللهِ فُرضتَ على هذه الخَلائِقِ الإلهِيَّةِ. ولكنَّ الإنسانَ هُوَ المَخلُوقُ الوَحِيدُ الذي خَلَقَهُ اللهُ لِيَكُونَ لَدَيْهِ أهْلِيَّةٌ لِإِتْخَاذِ الخَياراتِ. وأهْلِيَّتُنَا على الإِختِيارِ هي حُطَّةُ اللهِ لَنَا. لِهذا، لن يَنْتَهَكَ اللهُ بِناتاً حُرِّيَّتُنَا بِالِإِختِيارِ.

في نِهايَةِ العَهْدِ الجَدِيدِ، نرى المَسيحَ المُقامَ واقِفاً وقارِعاً بِصَبْرِ على بابِ حَيَاتِنَا (رُويَا ٣: ١٩، ٢٠). هذا القَرعُ يُشيرُ إلى مَحَبَّةِ المُخْلِصِ الذي يُحاولُ أن يُؤدِّبنا بِمَحَبَّةٍ لِنَفْتَحَ بابَ

حياتنا له، لكي تكون له شركة معنا. والمسيح لن ينتزع القفل عن هذا الباب، ولن يكسر هذا الباب أبداً.

عندما رسم فنان شخص المسيح الواقف على الباب وهو يقرع، لم يضع مسكة للباب من الخارج، قاصداً بذلك أن الباب ينبغي أن يفتح من الداخل. وكوننا مخلوقات ذات خيار يجعل هذا السؤال الأخير "ماذا تريد؟" سؤالاً عميقاً للغاية.

بعد أن استخدمت هذه الأسئلة كبوصلة روحية شخصية لأكثر من خمسة عقود، شاركتها معكم هنا، راجياً أن تصبح هذه بوصلة روحية لكم أيضاً. ولقد اكتشفت أنه رغم عدم تغيير هذه الأسئلة، فإنّ الأجوبة تتغير دراماتيكيّاً عبر الأجيال. وعندما تقبلون أن يستخدم الله هذه الأسئلة ليجعلكم تعرفون من، ماذا، وأين يريدكم الله أن تكونوا، تدركوا أن تسمحوا لخالقكم المحب أن يسألكم ذلك السؤال الثاني مرة إضافية: "من أخبركم؟ ومن تظنون يجعلكم تعرفون هذه الأشياء؟"

الفصل الثالث

"وصفة للقلق"

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بوقت قصير، وعندما بدأ العالم يعيش حقيقة الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل، سميت تلك الحقبة من التاريخ بـ "عصر القلق". فهذه الأسلحة هي الآن في أيدي المزيد من الدول، وهناك جماعات مسلحة حول العالم تحاول إمتلاك هذا النوع من الأسلحة الفتاكة. ولقد تمت إضافة الاسلحة الكيميائية والبيولوجية ذات الدمار الشامل على هذه اللائحة من الأسلحة الفتاكة والرهيبه. وإذا أضفتم تهديد الإرهاب العالمي إلى السيناريو اليوم، تجدون أننا فعلاً نعيش في عصر القلق.

وحول العالم، هناك أشخاص يختبرون حرقاً هجمات من القلق، لأنه بالإضافة إلى الضغوطات التي نعيش فيها نحن جميعاً في حياتنا الشخصية، توجد سحابة من القلق يسببها العالم الذي نعيش فيه اليوم. فإن كنتم تُعانون من القلق والخوف، أود أن أشارك معكم وصفة موحى بها من الله للقلق. هذه الوصفة العظيمة للقلق تأتينا على فم الرب يسوع المسيح نفسه، وهي وصفة رائعة جداً ضد القلق.

"لا تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلْ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لَا يُفْسِدُ سُوسٌ وَلَا صَدَأٌ وَحَيْثُ لَا يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلَا يَسْرِقُونَ. لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً. سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نُورًا. وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شَرِيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا. فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلَامًا فَالظُّلَامُ كَمَا يَكُونُ. لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ. لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْعِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ. لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ. وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدِ أَفْضَلُ مِنَ اللِّبَاسِ. أَنْظَرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ. إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ. وَأَبْوَكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا. وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً. وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ. تَأْمَلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو. لَا تَتَعَبُ وَلَا تَغْرُلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلَا سُلَيْمَانَ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عَشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي النَّثُورِ يُلْبَسُهُ اللَّهُ هَكَذَا أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبَسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ. فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ. فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَّمُ. لِأَنَّ آبَاكُمْ

السَّمَاوِيِّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنْ اطَّلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تَرَادُ لَكُمْ. فَلَا تَهْتَمُّوا لِلْعَدِيدِ. لِأَنَّ الْغَدَّ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ". (متى ٦: ١٩ - ٣٤)

في الواقع، قال يسوع: "لا تهتمُّوا"، ولم يقل: "تقبلوا قلقكم". أو: حاولوا تحمّل توتركم". إذا درست هذه العبارة بعمق في اللغة الأصليّة، تلاحظون أنه يقول: "إذا كنتم تختبرون القلق، فتوقّفوا عنه".

ما هي بالتّحديد وصفة يسوع لتحمّل القلق؟ في هذا المقطع من كلمة الله، تجدون دراسةً عظيمةً عن قيم المسيح. ولكي يُقدّم الجزء الأول من وصفته للقلق، يركّز المسيح على القيم المغلوطة التي تُسبب القلق.

بحسب القاموس، القيميّة هي "تلك النوعيّة من أيّ شيءٍ مُعيّن، التي بها يمكننا أن نقرّر أن نكون أكثر أو أقلّ منفعةً، أهميّةً، وبالتالي نصبح مرغوباً بنا". في وصفته للقلق، يركّز يسوع على بعض القيم التي تُسبب القلق (١٩ - ٢١). فالكنوز القابلة للفساد هي تركيز الخطوة الأولى في وصفة يسوع للقلق.

بحسب يسوع، يوجد نوعان من الكنوز: كنوز على الأرض وكنوز في السماء. وهو يقول إنّ الكنوز على الأرض هي هشّة ويفسدها السوس والصدأ وينقبها السارقون ويسرقونها منّا. أمّا الكنوز الموجودة في السماء، فلا يفسدها السوس ولا الصدأ ولا يمكن للسارقين أن يسرقوها منّا.

يستخدم يسوع كلمة تعني: "ذلك الذي يأكل". معظم هؤلاء الناس الذين سمعوه يُعلم هذه الوصفة للقلق، كانوا مزارعين، وكانوا قد غرسوا وحصدوا وجمعوا ما يكفي من الطعام لعائلاتهم. وكانوا يعلمون أنّ ماؤتهم يمكن أن تأكلها الحشرات والحيوانات والقوارض. ولقد سمعوا يسوع حقاً عندما علّم قائلًا أنّه إن كانت كنوزنا أرضيّة وسريّة العطب، فإن هذا قد يفودنا إلى قلقٍ رهيب.

ولكي يُقدّم يسوع الخطوة الثانية من وصفته للقلق، يستخدم إستعارةً تُرينا مصدرًا آخر للقلق. هذه الإستعارة المجازيّة، هي تلك التي تُخبرنا أنّ الفرق بين السعادة والكآبة هو طريقة نظرنا للأمر (٢٢، ٢٣).

ثمّ يُهاجم سبباً آخر من أسباب القلق، عندما يُخبرنا أنّنا ينبغي أن نخدم الله، والله وحده (٢٤). يوجد نوعان من الكنوز ونوعان من السادة. إنّ كُنّا على علمٍ بالوصيّة الأولى - لا يكن لك إلهة أخرى أمامي، والحقيقة التي بها أجاب يسوع على تجرّبة الشيطان الذي أراد أن يمنحه كلّ ممالك العالم، علينا أن نعلم أنّ خدمة أيّ شيءٍ أو أيّ شخصٍ غير الله سوف يُسبب القلق.

لهذا، فالوصفة ضد القلق هي إعلان يسوع أنه ليس بإمكاننا أن نخدم سيدين. فالسيد الذي يُقدّمه والذي غالباً ما نخدمه بالإضافة إلى الله، هو من لا نُفكر به عادةً كسيد. يُعلن يسوع أننا إن كنا نخدم الله والمال، فنحن لا نكون بذلك قد جزأنا ولا عنا فحسب، بل نكون قد أصبحنا نخدم سيدياً قابلاً للفساد، وخضعنا لفكر خاطئ. الكلمة التي يستخدمها يسوع للتعبير عن المال، هي كلمة تعني قوة المال. والإيمان على إنتاج الكثير من المال، هو إيمان مألوف ولكنه قتال.

إن جوهر وصفة يسوع هذه، سوف يتركز عليه بدقة كبيرة إذا تأملتم بواحد وعشرين سؤالاً طرحها يسوع – مباشرة أو لا مباشرة – في هذا المقطع من كلمة الله. وكما رأينا، يطرح الله أسئلة عبر الكتاب المقدس. فعندما أصبح الله إنساناً، وعاش بيننا، كان يطرح الأسئلة بشكل مستمر. ثلاثة وثمانون سؤالاً من أسئلة يسوع مسجلة في إنجيل متى وحده. في هذا المقطع وحده من تعليم يسوع على الجبل، فتشوا بروح الصلاة على الأجوبة الصحيحة للأسئلة الأحد والعشرين التي طرحها يسوع، وسوف تجدون أنكم ستكثرون تطيقون وصفة سوف تحقق قلوبكم بشكل ملحوظ جداً: أين قلبك؟ (٢١) أين كنوزك؟ (٢٠، ١٩) كيف ترى الأمور؟ هل لديك عين بسيطة سليمة، أو نظرة نقيّة للحياة؟ هل جسدك مملوء بالنور وبالسعادة؟ أم هل جسدك مملوء بالظلمة والكتابة؟ هل لديك ازدواجية في الرؤيا الروحية، أو "إنقسام روحي في الشخصية؟" (٢٢، ٢٣) هل تخدم الله؟ (٢٤) أم أنك تخدم المال وسلطة المادة؟ (٢٤)

هل أنت قلق حيال تأمين مصدر غذائك، أي ما ستأكل وما ستشرب وما ستلبس؟ (٢٥) ما هي حياتك؟ (٢٥) وما هو جسدك؟ (٢٥) وما هي قيمتك؟ (٢٦) وما هي حدودك؟ (٢٧) وإن كان أبوك السماوي يطعم العصافير، ألن يطعمك؟ (٢٦) وإن كان أبوك السماوي يلبس زنايق الحقل هكذا، ألن يلبسك؟ (٣٠)

هل قلقك هو الذي يجد حلاً لكل هذه المشاكل؟ (٢٧) وماذا يخبرك قلقك عن الإيمان؟ (٣٠) وهل تؤمن أن أباك السماوي يعلم أنك تحتاج لهذه الأمور؟ (٣٢) إن وضعت الله أولاً، وفعلت ما يريدك أنه الصواب، هل تؤمن أنه باستطاعتك أن تثق به ليُلبس احتياجاتك، بينما تقوم بخدمته؟ (٣٣)

باختصار:

إذا أردت أن تُشخص مصادر قلقك بروح الصلاة أجب على هذه الأسئلة الخمسة الملخصة: ماذا تفعل طوال النهار (نشاطاتك)؟ بماذا تفكر طوال النهار (مواقفك)؟ من أو ماذا تخدم طوال النهار (ولاؤك)؟ بماذا تهتم وتقلق طوال النهار (هؤمك)؟ ماذا تريد طوال النهار (طموحاتك)؟

عندها ستصبح حاضراً لتسمع مُلخَّصَ وصفة يسوع لقلق المؤمن: "أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره؛ وكلُّ تلك الأشياء التي تقلقون جيالها طوال النهار، ستعطي لكم من قبل أبيكم السماوي، الذي يعلم أنكم تحتاجون لكلِّ هذه الأشياء. (متى ٦: ٣٣-٣٤). إنَّ الجوهر النَّقيَّ لوصفة يسوع هذه لقلق المؤمن، مُعبَّرٌ عنها بهاتين الكلمتين: "الله أولاً!"

الفصل الرابع

"وصفة لأجل السلام"

كَتَبَ أَحَدُ الْمُؤَلِّفِينَ الْمُفَضَّلِينَ عِنْدِي أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ، "الألم والمعاناة لا مفرَّ منهما، أمَّا التَّعَاسَةُ فَهِيَ إِخْتِيَارِيَّةٌ. إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَلْتَقِيَ بِإِنْسَانٍ لَدَيْهِ أَسْبَابٌ كَافِيَةٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَنْ يَكُونَ تَعِيْسًا، إِفْتَحِ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ وَإِقْرَأْ كِتَابَاتِ بُولُسِ الرَّسُولِ. تَكَلَّمْ عَنِ الأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ. فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْكُورِنْثُوسِيِّينَ، يَفْتَحُ الرَّسُولُ الْعَظِيمُ لَنَا نَافِذَةً عَلَى سِيرَةِ حَيَاتِهِ، حَيْثُ نَرَى نَوْعِيَّةَ الْحَيَاةِ الَّتِي عَاشَهَا كَأَعْظَمِ مُرْسَلٍ فِي تَارِيخِ كَنِيسَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، عِنْدَمَا كَتَبَ قَائِلًا: "لَقَدْ عَمِلْتُ بِكَدٍّ وَسُجِنْتُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ أَعْرَفَهُ. ضُرِبْتُ بِالسُّوْطِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ وَوَجِهُتُ الْمَوْتَ كَثِيرًا. خَمْسَ مَرَّاتٍ ضَرَبَنِي الْيَهُودُ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ جَلْدَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعَصِيِّ. وَرَجَمْتَنِي عِصَابَةً مَرَّةً وَاحِدَةً فَتَرَكْتُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ (أعمال ١٤). تَعَرَّضْتُ سَفِينَتِي لِلْعَرَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عِنْدَمَا كُنْتُ فِي الْبَحْرِ طَوَالَ اللَّيْلِ وَخِلَالَ النَّهَارِ التَّالِيِ (أعمال ٢٧، ٢٨). وَقَطَعْتُ أَمِيالًا عَدِيدَةً شَاقَّةً وَكَثِيرًا مَا تَعَرَّضْتُ لِخَطَرٍ كَبِيرٍ مِنْ فَيضَانَاتِ الْأَنْهَارِ وَاللِّصُوصِ وَشَعْبِي الْخَاصِّ، وَمِنَ الْوَتْنِيِّينَ أَيْضًا. وَاجِهُتُ أخطارًا عَدِيدَةً مِنَ الْعَصَابَاتِ فِي الْمَدَنِ، وَوَجِهُتُ الْمَوْتَ فِي الصَّحَارِيِّ وَالْبَحَارِ الْهَائِجَةِ، وَمِنَ النَّاسِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ إِخْوَةٌ فِي الْمَسِيحِ لَكُنْهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ. عِشْتُ فِي الأَلَمِ وَالْإِرْهَاقِ، وَأَمْضَيْتُ لَيَالٍ كَثِيرَةً قَلَقًا وَأَرْقًا. وَكَثِيرًا مَا عَانَيْتُ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ، وَكَثِيرًا مَا ارْتَجَفْتُ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنِّي مَا كُنْتُ أَمْلِكُ مَا يَكْفِي مِنَ الثِّيَابِ لِأَسْتَدْفِي." (٢ كُورِنْثُوسِ ١١: ٢٣ - ٢٧).

يُوجَدُ تَعْلِيمٌ مَغْلُوطٌ يَرُوجُّ لَهُ الْبَعْضُ، يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُنَا أَنْ نَكُونَ جَمِيعًا أَصِحَّاءَ، أَغْنِيَاءَ، وَسُعْدَاءَ. وَلَكِنَّ الرَّسُولَ بُولُسَ لَنْ يُوَافِقَ أَبَدًا مَعَ هَذَا التَّعْلِيمِ الَّذِي يُسَمَّى "لَاهُوتِ الْإِزْدِهَارِ"، وَكَذَلِكَ لَا يُوَافِقُ عَلَيْهِ يَسُوعُ نَفْسَهُ. قَالَ يَسُوعُ، "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ..." (يُوحَنَّا ١٦: ٣١)

كَتَبَ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي، أَنَّهُ حَتَّى فِي خِصَمِ الْإِخْتِبَارَاتِ الصَّعْبَةِ، كَانَ لَدَيْهِ سَلَامٌ... سَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلِ، أَوْ سَلَامٌ لَا يُعْقَلُ، لِأَنَّهُ خَارِقٌ لِلطَّبِيعَةِ. تُرِينَا دِرَاسَةً مُعَمَّقَةً لِرِسَالَةِ فِيلِبِّي أَنَّ هَذَا السَّلَامَ الَّذِي كَانَ بُولُسُ يَخْتَبِرُهُ، كَانَ سَلَامًا مُرْتَبِطًا بِالْفَرَحِ. فَحَتَّى وَلَوْ كَانَتْ رِسَالَةُ فِيلِبِّي قَدْ كَتَبَهَا بُولُسُ عِنْدَمَا كَانَ فِي السِّجْنِ، فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْقَصِيرَةَ تُسَمَّى "رِسَالَةَ الْفَرَحِ" لِأَنَّهَا تَذَكِّرُ الْفَرَحَ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

إِنْ كُنْتُمْ تَشْعُرُونَ مِثْلِي، قَدْ تَقْرَأُونَ سَرْدَ بُولُسِ لِهَذِهِ الضَّيِّقَاتِ الَّتِي إِجْتَازَ فِيهَا بُولُسُ، وَتَسْأَلُونَ، "كَيْفَ يُمَكِّنُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ فِي سَلَامٍ بَيْنَمَا كَانَ يُعَانِي مِنْ كُلِّ هَذِهِ الضَّيِّقَاتِ؟" يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ شَاكِرِينَ لَكُونَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدْ أَرْشَدَ بُولُسَ لِتَبْرُكٍ لَنَا جَوَابًا مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ.

نَجِدُ جَوَابَهُ فِي الإِصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْ رِسَالَتِهِ إِلَى الْفِيلِيبِّيِّينَ. فِي ذَلِكَ الإِصْحَاحِ، كَتَبَ بُولُسُ مَا أَسَمِيَهُ "وَصَفَةً لِلسَّلَامِ"، الَّتِي لَا تَشْرَحُ فَقَطْ كَيْفَ كَانَ قَادِرًا أَنْ يَكُونَ فِي سَلَامٍ رُغْمَ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي كَانَ يَجْتَازُهَا، بَلْ تَصِفُ أَيْضًا تِلْكَ النَّوعِيَّةَ مِنَ السَّلَامِ لَكَ وَلِي، بِعَضِّ النَّظَرِ عَنْ ظُرُوفِنَا.

هَذِهِ النَّوعِيَّةُ مِنَ السَّلَامِ، الَّتِي يُسَمِّيهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ "سَلَامَ اللَّهِ"، هِيَ حَالَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ مِنَ السَّلَامِ، الَّتِي يَحْفَظُ اللَّهُ فِيهَا الْمُؤْمِنَ. وَقَبْلَ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى وَصَفَةِ بُولُسِ لِهَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ السَّلَامِ، الَّتِي فِيهَا يَحْفَظُهُ الْمَسِيحُ الْمَقَامَ بِوَضُوحٍ، أَوْدُ أَنْ أَكْتُبَ ثَلَاثَ تَعْلِيمَاتٍ نَحْتَاجُ أَنْ نَعْتَرِفَ بِهَا وَأَنْ نُطَبِّقَهَا بِبَسَاطَةٍ، بَيْنَمَا نَدْرُسُ وَنُطَبِّقُ وَصَفَةَ بُولُسِ لِلسَّلَامِ فِي حَيَاتِنَا.

أَوَّلًا، هَذِهِ الْحَالَةُ مِنَ السَّلَامِ، هِيَ سَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلَّمَ؛ ثَانِيًا، إِنَّهُ سَلَامٌ يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ فِي إِطَارِ عِلَاقَةٍ مَعَ الْمَسِيحِ؛ وَثَالِثًا، تُوَجَدُ شُرُوطٌ يَنْبَغِي أَنْ تُلَبَّى بَيْنَمَا نُطَبِّقُ هَذِهِ الْوَصْفَةَ لِلسَّلَامِ مَعَ اللَّهِ.

سَلَامٌ يَنْبَغِي أَنْ يُتَعَلَّمَ

بَيْنَمَا تَقْرَأُونَ رِسَالَاتَ بُولُسِ إِلَى أَهْلِ فِيلِيبِّيِّ، لَاحِظُوا بَأَنَّهُ يُخْبِرُنَا بِأَنَّهُ تَعَلَّمَ هَذَا السَّلَامَ. قَالَ: "لَقَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا فِي كُلِّ شَيْءٍ، مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ. تَعَلَّمْتُ سِرًّا مُوَاجَهَةَ الْفَقْرِ الْمُدْقِعِ. فِي كُلِّ شَيْءٍ تَعَلَّمْتُ... فِي تَرْجَمَةٍ أُخْرَى يَقُولُ: "الآن أَصَبَحْتُ أَعْرِفُ... (وَكأنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ سَابِقًا.)"

لَا يَسَعُنِي إِلَّا أَنْ أَتَسَاءَلَ عَمَّا هِيَ تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي تَعَلَّمَهَا؛ وَمَنْ هُوَ الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُهُ؟ بِحَسَبِ بُولُسِ، لَقَدْ تَعَلَّمَ مِنْ قِبَلِ الْمَسِيحِ الْحَيِّ الْمَقَامِ. إِنَّهُ لِأَمْرٍ مُشَجِّعٍ وَمُعَزِّ لِي عِنْدَمَا أَقْرَأُ أَنَّ هَذَا السَّلَامَ يُمَكِّنُ أَنْ يُتَعَلَّمَ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ نَوْعُ السَّلَامِ الَّذِي إِخْتَبَرَهُ بُولُسُ وَنَصَحَ بِهِ، يُمَكِّنُ أَنْ يُتَعَلَّمَ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ بِإِمْكَانِي أَنْ أُنْتَمِعَ بِهَذَا السَّلَامِ الْمُعْجِزِيِّ. بِعَضِّ النَّظَرِ عَمَّا هِيَ ظُرُوفُ حَيَاتِي، فَبِالنَّسْبَةِ لِي، الْبُؤْسُ هُوَ أَمْرٌ إِخْتِيَارِيٌّ.

بِنِعْمَةِ اللَّهِ، لَقَدْ تَعَلَّمْتُ هَذِهِ الْوَصْفَةَ لِلسَّلَامِ، عِنْدَمَا كُنْتُ أَخْتَبِرُ أَصْعَبَ أَرْمَةِ شَخْصِيَّةٍ فِي حَيَاتِي. كُنْتُ رَاعِي كَنِيسَةٍ، وَكُنْتُ قَدْ تَمَتَّعْتُ بِعَقْدٍ مِنَ السَّنِينَ الْمَلِيئَةِ بِالْمُعْجِزَاتِ فِي خِدْمَتِي، وَفَجَاءَهُ بَدَأَتْ صِحَّتِي بِالتَّدَهُّورِ، فَأَرْغَمْتَنِي عَلَى التَّخَلِّيِ عَنْ خِدْمَتِي الْفَاعِلَةِ. فَعِنْدَمَا بَدَأَ مَرَضٌ نَادِرٌ لَا يُرَجَى شِفَاؤُهُ يَفْتِكُ بِنَخَاعِي الشُّوكِيِّ، مِمَّا أَقْعَدَنِي وَأَرْغَمَنِي عَلَى مُوَاجَهَةِ تَحَدِّيَاتٍ وَمَحْدُودِيَّاتٍ أَنْ أَقْضِيَ بَقِيَّةَ عُمْرِي عَلَى كُرْسِيِّ الْمُقْعَدِينَ، لَا بَلْ وَأَسْوَأَ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَجَدْتُ وَصْفَةَ بُولُسِ لِلسَّلَامِ فِي الإِصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْ رِسَالَةِ فِيلِيبِّيِّ. لَقَدْ حَفَظْتُ هَذَا الإِصْحَاحَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِي، وَصَلَّيْتُ قَبْلَ أَنْ أَسْتَعْرِقَ فِي النَّوْمِ لَيْلًا، بَيْنَمَا أَنَا أَتَأَمَّلُ بِوَصْفَةِ

السَّلام التي كُنْتُ أتعلمُها هنا. الأخبارُ السَّارةُ هنا، هي أنَّه إنَّ كانَ بإمكانِ بُولس أن يتعلَّم هذا، وإنَّ كانَ بإمكانِني أن أتعلَّمه، فبإمكانِكَ أنت أيضاً أن تتعلَّم هذه الوَصفةَ للسَّلام.

سَلامٌ علاقاتيَّ

عندما تتأمَّل بوصفَةَ بُولسٍ لِلسَّلام، ستفهمُ سَريعاً أنَّ بُولسٍ لَدِيهِ علاقتُهُ معَ المسيحِ الحَيِّ المُقام. فهو يفتَرِضُ أيضاً أنَّ أولئك الذي يُوجِّهُ لهم هذه الوَصفةَ، لديهمُ بِدورِهِم علاقتُهُ معَ يسوعِ المسيحِ. بِدُونِ هذهِ العلاقتِ، ليسَ مُمكناً أن نُطبِّقَ وصفَةَ السَّلامِ هذه. فهذهِ الوَصفةُ مكتوبةٌ لِلْمُؤمِنِينَ الذين فَتَحُوا بابَ حياتِهِم على العلاقتِ معَ المسيحِ المُقامِ (رُؤيا ٣: ٢٠).

سَلامٌ مشروطٌ

بِحَسَبِ بُولسٍ، حتَّى بالنِّسبَةِ لِشَخِصٍ لَدِيهِ علاقتُهُ معَ رَئيسِ السَّلامِ نَفسِهِ، فإنَّ حالةَ السَّلامِ الشَّخِصِيَّةِ والمُستمرَّةِ، التي تُعرَفُ بِسَلامِ اللهِ، سوفَ تَكونُ فقط إختِبارَ الأشخاصِ الرُّوحِيِّينَ، الذين يُحَقِّقُونَ شَروطاً مُعيَّنةً. فإنَّ كُنْتُ نَحِبُّ المسيحِ، وتُحَقِّقُ هذهِ الشَّروطِ، بإمكانِكَ أن تختَبرَ سَلامَ اللهِ.

أجدُ سِنَّةَ عَشَرَ شَروطاً لِلسَّلامِ معَ اللهِ، مذكورةٌ بِشَكلٍ مُباشِرٍ أو غيرِ مُباشِرٍ، في رسالةِ بُولسِ الرِّسُولِ إلى أهلِ فيليبي (فيلِبي ٤: ٤ - ١٣). حاولَ أن تجِدَ هذهِ الشَّروطِ السِنَّةَ عَشَرَ بينما تقرأُ وصفَةَ بُولسِ هذهِ لِلسَّلامِ:

(٤) "إفرحوا في الرَّبِّ كُلِّ حينٍ وأقولُ أيضاً إفرحوا." (٥) لِيَكُنْ حِلْمُكُمْ معروفاً عندَ جَمِيعِ النَّاسِ. ولا تنسوا أنَّ الرَّبَّ قَريبٌ. (٦) لا تهتمُّوا بِشَيءٍ بلَّ في كُلِّ شَيءٍ بالصَّلاةِ والدُّعاءِ معَ الشُّكرِ لِتُعلِّمَ طلباتِكُمْ لدى اللهِ. (٧) وسَلامُ اللهِ الذي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلِ يحفظُ قُلُوبَكُمْ وأفكارَكُمْ في المسيحِ يسوعِ.

(٨) وإليكمُ هذهِ النَّصيحةُ الأخيرةُ. إنَّ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ بالصَّلاحِ، وإنَّ كُنْتُمْ تُقدِّرونَ قِيَمَةَ مُوافقةِ اللهِ، نَبِّئُوا أذهانَكُمْ على كُلِّ ما هُوَ حَقٌّ، وكُلِّ ما هُوَ جَلِيلٌ، وكُلِّ ما هُوَ عادِلٌ، وكُلِّ ما هُوَ طاهرٌ، وكُلِّ ما هُوَ مُسرِّ، وكُلِّ ما هُوَ حَسَنٌ. (٩) شكِّلوا سُلُوكَكُمْ بما تَعَلَّمْتُموهُ مِنِّي، بما أَخبرتُكُمْ وأرَيتُكُمْ، وسوفَ تجِدُونَ أنَّ إلهَ السَّلامِ سيَكُونُ معَكُمْ.

(١٠) "ثمَّ إِنِّي فرحتُ بِالرَّبِّ جدًّا، لأنَّكُمْ الآنَ قد أزهَرَ أيضاً مَرَّةً إعتناؤُكُمْ بي، الذي كُنْتُمْ تعتنونهُ ولكن لم تَكُنْ لَكُمْ فُرصةٌ." (١١) "ليسَ أَنِّي أقولُ من جِهَةِ إحتياجِ فَإِنِّي قد تَعَلَّمْتُ أنَّ أَكونَ مُكتفياً بما أنا فيه."

(١٢) "أعرفُ أنَّ أتَضَعُ وأعرفُ أيضاً أنَّ أستَفضِلُ. في كُلِّ شَيءٍ وفي جَمِيعِ الأشياءِ قد تَدَرَّبْتُ أنَّ أشبَعُ وأنَّ أجوعَ، وأنَّ أستَفضِلُ وأنَّ أنقصَ." (١٣) "أستطيعُ كُلَّ شَيءٍ في

المسيح الذي يُقَوِّيني" (أو أستطيع أن أعمل أيَّ شيءٍ، حتَّى وأن أتمتَّع بِسَلامِ اللهِ وَسَطَ الإِضْطِرَّاباتِ). (فيلبِّي ٤ : ٤ - ١٣).

سِتَّةَ عَشَرَ شَرْطاً لِلسَّلَامِ

إن كنتَ تُريدُ أن تتمتَّعَ بالسَّلَامِ الذي يَصِفُهُ بُولُسُ، أَوَّلُ شَرْطٍ عَلَيْكَ تَلْبِيئُهُ هُوَ أن لا تهتَمَّ بِشَيْءٍ (٦). فبُولُسُ لم يَنصَحْ بهذا الشَّرْطِ الأَوَّلِ لِلسَّلَامِ، بسببِ كونه لم يَكُنْ لديه ما يَقلِّقُ حَيَالَهُ. بل قالَ لنا أن لا نهتَمَّ بِشَيْءٍ، لأنَّ القَلْقَ ليسَ غَيْرَ مُنتِجِ فَحَسَبِ، بل وهو يُنتِجُ أُموراً مُضادَّةً. فالقَلْقُ بِبِساطَةٍ لا يُحَقِّقُ شَيْئاً، بل يَسْتَهْلِكُ الطَّاقَةَ العاطفيَّةَ والرُّوحيَّةَ، التي تحتاجُها لكي تتعاملَ معَ مشاكلِكَ. لهذا، يُوافقُ بُولُسُ معَ يسوعَ، مُخبراً إِيَّانا بأن لا نهتَمَّ بِشَيْءٍ.

ثمَّ يُتابعُ بُولُسُ لِيَنصَحَ بِشَرْطِهِ الثَّانِي لِلسَّلَامِ والذي هُوَ: "صَلُّوا لأجلِ كُلِّ شَيْءٍ". رُغمَ أنَّ القَلْقَ هُوَ مُناقِضٌ لِلإِنْتِاجِ، فلقد عرفَ الرَّسُولُ بُولُسُ أنَّ الصَّلَاةَ هي مُنتِجَةٌ جَدًّا. وعرفَ أنَّه بإمكانِ الصَّلَاةِ أن تُنقِذَنَا من الأزمَةِ التي نَقَلقُ تَجاهَها.

مثلاً، طَلَبَ بُولُسُ مِنَ الفِيلِيبِّيِّينَ أن يُصَلُّوا لأجلِهِ لكي يَتحرَّرَ مِنَ السِّجْنِ. فَصَلُّوا، وهكذا تَحَرَّرَ من سِجْنِهِ الذي كانَ مَحْبُوساً فِيهِ عندما كَتَبَ لَهُم هذه الرِّسالةَ المُوحى بها مِنَ اللهِ. ولكنَّ بُولُسَ عرفَ أيضاً من إختبارِهِ الشَّخْصِيَّ أنَّ اللهُ لا يُزِيلُ مشاكلَنا دائِماً.

كانَ بُولُسُ يُعاني من مُشكِلةٍ صِحِّيَّةٍ وصفَها بِكُونِها "شوكَّةً في الجَسَدِ". ثلاثَ مَرَّاتٍ طَلَبَ مِنَ اللهِ أن يَمْنَحَهُ الشِّفاءَ. لقد رأى هذا الرَّجُلُ كَثِيرِينَ يُشْفَوْنَ من خلالِ كُونِهِ هُوَ الأداةَ البَشَرِيَّةَ التي استَخدمَها الرُّوحُ القُدُسُ لِشِفاءِ الآخرين. رُغمَ ذلكَ، عندما طَلَبَ مِنَ اللهِ أن يَحُلَّ لَهُ مُشكِلتَهُ الصِّحِّيَّةَ، أَجابَهُ اللهُ ثلاثَ مَرَّاتٍ قَائِلاً، "كَلَّا." قالَ اللهُ لِبولُسَ ما معناه، "سَامْنُحُكَ النِّعْمَةَ لِتَسْتَطِيعَ أن تَتَحَمَّلَ المُشكِلةَ." (٢ كورنثوس ١٢).

عندما أعطى اللهُ بُولُسَ النِّعْمَةَ لِتَحَمُّلِ مُشكِلتِهِ الصِّحِّيَّةِ، تَعَلَّمَ بُولُسُ من إختبارِهِ الشَّخْصِيَّ أنَّ الصَّلَاةَ قد تُنقِذُكَ من مُشكِلتِكَ، أو قد تَمْنَحُكَ النِّعْمَةَ لِتَتَحَمَّلَ مُشكِلتَكَ، ولكن في الحَالَتَيْنِ، عَلِينَا أن نُصَلِّيَ. عَلِينَا أن نُصَلِّيَ لأجلِ كُلِّ شَيْءٍ. فالشَّرْطانِ الأَساسِيَّانِ لِلسَّلَامِ عندَ بُولُسَ هُما: "لا تَهتَمُّوا بِشَيْءٍ، بل في كُلِّ شَيْءٍ بالصَّلَاةِ."

ثمَّ يَقُومُ بُولُسُ بِوَصْفِ شَرْطِهِ الثَّالِثِ لِلسَّلَامِ، عندما يُخبرُنا أَنَّهُ عَلِينَا أن نُفَكِّرَ بِطَرِيقِنا لِلسَّلَامِ (٨). يُخبرُنا بُولُسُ بما معناه أن أفكارَنا هي بِمِثابَةِ خِرافٍ، ونحنُ بِمِثابَةِ رُعاةٍ هذه الأفكارِ "الخِرافِ". فبإمكانِنا أن نُقرِّرَ كيفَ سوفَ نُفَكِّرُ وكيفَ لن نُفَكِّرَ.

قال أحدهم، "خمسة بالمائة من الناس يُفكِّرون، عشرة بالمائة يظنُّون أنَّهم يُفكِّرون، خمسة وثمانون بالمائة يُفضِّلون الموت على أن يُفكِّروا، وعشرة بالمائة يظنُّون أنَّهم يُفكِّرون ولكنَّهم بالحقيقة لا يفعلون إلى إعادة ترتيب أحكامهم المُسبَّقة بدون تفكير البتَّة!" في وصفته للسلام، يضع بولس أماناً التَّحدِّي أن ننضمَّ إلى الخمسة بالمائة التي تُفكِّرُ بالفعل. وهو ينصِّحنا أن نُقرِّرَ كيفَ ينبغي أن نُفكِّرَ. وهو يُرشِدنا بالتَّحديد لِنُفكِّرَ بِكُلِّ ما هو حقٌّ، كلِّ ما هو جليلٌ، كلِّ ما هو نقيٌّ، كلِّ ما هو مُسرِّ، كلِّ ما صيِّتُهُ حسنٌ.

يَعْتَقِدُ المُفَسِّرُونَ أنَّ هذا الجزء من وَصْفَةِ بولس للسلام، هو تفسيرٌ لما كتبه إشعياء النَّبِيُّ: "ذو الرَّأيِ المَمَكَّنِ تحفظُهُ سَليماً سَليماً لأنَّهُ عليكِ مُتَوَكِّلٌ." (إشعياء ٢٦: ٣). يَذْكُرُ إشعياء شَرْطِينَ للسلام مع الله: إذا تَبَتَّنَّا أفكارنا على الرَّبِّ، وإذا وضعنا ثِقَتنا به، فسوف يحفظنا في حالةِ السَّلامِ الشَّخْصِيِّ.

ففي زنازاةٍ في سِجِنِ Mamertine في رُوما، حيثُ قضى بولس آخرَ أيَّامِهِ على الأرض، وقبل أن قُطِعَ رأسُهُ، لربَّما أصبحَ هذا الشَّرْطُ للسلام نصيحتَهُ الشَّخْصِيَّةَ للصِّحَّةِ والسَّلامَةِ. ففي خِصَمِ الضَّغُوطاتِ التي لا تُحتمَلِ والتي قد يَتَوَجَّبُ عَلَيْكُمْ مُواجهَتُها في حياتِكُمْ، كطَلاقٍ مُعَقَّدٍ، أو إفلاسٍ، أو نوبةٍ قَلْبِيَّةٍ، أو جِراحَةٍ تُهدِّدُ الحياةَ، أو المراحلِ النَّهائِيَّةَ من مَرَضِ السَّرطانِ، أو معركةٍ، أو سِجِنِ، أَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ سَتَكْتَشِفُونَ أَنَّ هذه الوَصْفَةَ بإمكانِها أن تحفظَ سلامَكُم وصِحَّتَكُم.

فبولس وإشعياء يُوافقان على أنَّه إن كانتِ اليَقَّةُ مُستَمِرَّةً، فسيكونُ السَّلامُ كامِلاً ودائماً. وإن لم يكنْ هُناكَ ثِقَّةٌ، فلن يكونَ هُناكَ سلامٌ، لأنَّ سلامَ الله مشروطٌ بِشِدَّةٍ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ للسلامِ الذي وَصَفَهُ بولس يتطلَّبُ مِنَّا تحَرُّكاً. تُعَدِّرُ إِحْدَى التَّرجماتِ عن العددِ التَّاسِعِ كالتَّالِي: "الأُمُورُ التي تَعَلَّمْتُمُها وقَبِلْتُمُها وسَمِعْتُمُها ورَأَيْتُمُها فيَّ، فهذا إِفْعَلُوا، وإِلَهُ السَّلامِ يَكُونُ مَعَكُمْ." قد يَقُولُ قَائِلاً، "هل تقصُّدُ يا بولس أن تقولَ لي أنَّه يُوجَدُ شيءٌ بإمكانِني أن أعمَلَهُ، لِكِي أَحصِلَ وأحافظَ على سلامِ الله، خاصَّةً عندما أجتازُ في مرحلةٍ أزمَةٍ شَخْصِيَّةٍ؟"

بالطَّبعِ يُوجَدُ شيءٌ عَلَيْكَ أن تَعْمَلَهُ! فبولس يَصِفُ نَوراً حاسِماً وفاعِلاً بإمكانِنا أن نَلْعَبَهُ، إذا أردنا أن نختبِرَ سلامَ الله. أحياناً يكونُ "سارقُ السَّلامِ" الذي يَسْلُبُنا سلامنا، هو الحقيقتُ الصَّعْبَةُ أَنَّنَا لا نُحسِنُ التَّصَرُّفَ، ولا نَعْمَلُ الصَّوابَ. فعندما نفقدُ سلامنا لأنَّنا نَفْعَلُ ما هو لِمَنفَعَتِنا، ونخافُ أن نَعْمَلَ ما هو صَوابٌ، فإنَّ الوَصْفَةَ التي نحتاجُها هي أن نَعْمَلَ الأُمُورَ الصَّحِيحَةَ.

وشرطه الخامس للسلام يركز على "سارق السلام" في حياة المؤمنين الذين تألموا وعانوا من خسارة فادحة خلال خدمتهم للرب (٤ : ٨). هؤلاء قد يصلون إلى نقطة اليأس، عندما يُشكِّكون بقيمة الخير الذي عملوه بينما كانوا يخدمون الرب كمُرسلين، كمُبشِّرين، كُرعاة، أو كشهود أمناء للمسيح في المكان الذي وضعهم الله فيه.

كتب بولس يقول بحسب الترجمة التي استخدمتها سابقاً، "إن كنتم تؤمنون بالفضيلة..." عندما تجدون كلمة "إن" عليكم أن تدرِكوا أن هناك شرطاً للسلام تم إدراجه. فالفضيلة هي أنه يتوجب علينا أن نؤمن بالفضيلة. تقول ترجمات أخرى: "إن كانت فضيلة." (٨)

في كتاباته الموحاة، يتكلم بولس بإسهاب عندما يوضح كوننا لا نخلص بالأعمال الصالحة. في هذه الكتابات نفسها، يُعلم بولس أننا نخلص لأعمالٍ صالحة (أفسس ٢ : ١٠). وهو يُعلم هنا أن المؤمن لا ينبغي عليه أبداً أن يشك بقيمة الفضيلة التي عملها في خدمته للرب خلال حياته.

كان بإمكان الرسول بالتأكيد أن يحد نفسه في "سارق السلام". فمُنذ تجديده، ألزم نفسه بأن يعمل الفضيلة. ولقد كرّس نفسه كلياً لعمل يسوع. وإلام أدى به هذا؟ من سجن إلى سجن، ومن سيء إلى أسوأ. ورغم ذلك، عاش في سلام. لقد تمتع بولس بالسلام، لأنه تعلم كيف يتغلب على تجربة عدم الإيمان بالفضيلة.

هذا الشرط متضمن في وصفة بولس للسلام، لأنه كان سيؤفر على كرامة كنيسة يسوع المسيح الروحية خسارة السلام الذي قد تعاني منه، إذا نسيت أنها، ولو لم تكافأ على كل الفضيلة التي عملتها من أجل المسيح في هذه الحياة، فإن فضيلتها سوف تكافأ في الحالة الأبدية.

لاحظوا أن بولس نصح قائلًا، "لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء، بالصلاة والدعاء مع الشكر." (فيلبي ٤ : ٦). شرط سادس للسلام نجد في هاتين الكلمتين: "وكونوا شاكرين." فإن كنتم تشيخون، أو إذا تعرّضتم لحادث، أو لنوبة قلبية، أو لمرض يتسبب لكم بأن تفقدوا قدراتكم الجسدية واجدة بعد الأخرى، فأمامكم خياران: بإمكانكم أن تركزوا على ما خسرتُموه، أو تخسرونها، وأن تكتئبوا وتغضبوا حيال ذلك، أو بإمكانكم التركيز على ما لا زلتم تتمتعون به، وأن تكونوا شاكرين.

سوف تجدون أن هذا الخيار الثاني سيكون علاجاً فعالاً جداً للسلام. فعندما تفكروا به، تحصلون على عدة بركات. وسوف تكتشفون أنكم عندما تبدؤون بالتركيز على بركاتكم،

وتشكرون الله عليها، سوف تنقلون تفكيركم من السلبي إلى الإيجابي، وسوف يرجع لكم سلامكم.

يُرَكِّزُ بُولُسُ عَلَى شَرْطِ سَابِعِ السَّلَامِ، عِنْدَمَا يُشِيرُ إِلَى كَوْنِنَا عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ بِأَنْ نَكُونَ صَبُورِينَ، لِأَنَّ نَفَاذَ الصَّبْرِ هُوَ "سَارِقٌ آخِرٌ مِنْ سَارِقِي السَّلَامِ." (١٠، ١١). يَسْتَخْدِمُ بُولُسُ كَلِمَةً أُخْرَى لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْكِفَايَةِ، أَلَا وَهِيَ الصَّبْرُ. فِي عِلَاقَتِنَا بِاللَّهِ، الصَّبْرُ هُوَ "الْإِيمَانُ الْمُنْتَظَرُ." فَعِنْدَمَا نُصَلِّي لِشَيْءٍ، وَنُظَنُّ أَنَّنَا لَا نَحْصُلُ عَلَى جَوَابٍ، قَدْ يَكُونُ اللَّهُ يَدْعُونَا لِنَحْتَبِرَ نَوْعِيَّةً مِنَ الصَّبْرِ الَّتِي تَجْعَلُ إِيْمَانَنَا يَنْتَظِرُ الرَّبَّ. فِي عِلَاقَتِنَا مَعَ النَّاسِ، الصَّبْرُ هُوَ "الْمَحَبَّةُ الْمُنْتَظَرَةُ."

عِنْدَمَا يَنْفُذُ صَبْرُنَا مِنْ إِنْتِظَارِ اللَّهِ أَوْ النَّاسِ، نَفُذُ حَالَةَ السَّلَامِ الشَّخْصِيَّةِ. إِنَّ طَبِيعَةَ السَّلَامِ الَّتِي يَنْصَحُ بِهَا بُولُسُ هُنَا هُوَ وَاحِدٌ مِنْ ثَمَارِ الرُّوحِ التَّسْعِ (غَلَاطِيَّةِ ٥: ٢٢، ٢٣). هَذَا يُؤَكِّدُ الشَّرْطَ الَّتِي شَارَكَتُهُ مَعَكُمْ، بِأَنَّ سَلَامَ اللَّهِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلَاقَاتِيًّا.

فَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُنَمِّيَ فَضِيلَةَ الصَّبْرِ فِي حَيَاتِنَا بِاتِّجَاهَيْنِ: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُنَمِّيَ صَبْرًا عُمُودِيًّا، بَيْنَمَا يُعَلِّمُنَا أَنْ نَتَمَتَّعَ بِسَلَامٍ يَنْتَظِرُ الرَّبَّ. وَهُوَ يُرِيدُ أَيْضًا بِشَكْلِ دَائِمٍ أَنْ يُنَمِّيَ فِيْنَا الْإِتِّجَاهَ الْأُفْقِيَّ لِلصَّبْرِ فِي عِلَاقَتِنَا مَعَ الْآخَرِينَ، بَيْنَمَا يُعَلِّمُنَا أَنَّ الْمَحَبَّةَ تَنْتَظِرُ. فَسَلَامُنَا الشَّخْصِيُّ سَيَكُونُ سَرِيعَ الْعَطْبِ إِلَى أَنْ نَتَعَلَّمَ الصَّبْرَ.

نَتَعَلَّمَ الشَّرْطَ الثَّامِنَ لِلسَّلَامِ، عِنْدَمَا يَنْصَحُنَا بُولُسُ بِأَنْ يَكُونَ حِلْمُنَا مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ، أَيْ أَنْ تَكُونَ لَنَا رُوحٌ وَدِيعَةٌ وَحَلِيمَةٌ، عَلَى مِثَالِ يَسُوعَ. (٥) الْمَفْهُومُ الَّذِي نَرَاهُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْكِتَابِيَّةِ: الْحِلْمُ، الَّذِي هُوَ الْوَدَاعَةُ. إِنَّ مِيزَةَ الْوَدَاعَةِ هِيَ أَيْضًا ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَارِ الرُّوحِ، الَّتِي يُبْرِزُهَا بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةِ (غَلَاطِيَّةِ ٥: ٢٢، ٢٣).

فَالْوَدَاعَةُ لَيْسَتْ ضَعْفًا. بَلِ الْوَدَاعَةُ هِيَ قَرِيبَةٌ جِدًّا بِمَفْهُومِهَا إِلَى التَّرْوِيضِ. فَعِنْدَمَا يَتِمُّ تَرْوِيضُ جَوَادِ بَرِّيٍّ، يَخْضَعُ بِقُبُولِ الرَّسَنِ وَالسَّرَجِ، وَيَخْضَعُ لِقِيَادَةِ الشَّخْصِ الَّذِي يُمَسِّكُ بِالْمِهْمَازِ. هَذَا الْجَوَادُ لَنْ يُصْبِحَ عِنْدَهَا ضَعِيفًا، بَلْ وَدِيعًا. وَيُمْكِنُ وَصْفُ وَدَاعَتِهِ بِكُونِهَا "قُوَّةٌ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ." وَهَكَذَا فَإِنَّ الْحِلْمَ هُوَ رَدِيفٌ لِلْوَدَاعَةِ. وَالْجَوَادُ الْمُرَوِّضُ يُشَارُ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ وَدِيعٌ أَوْ حَلِيمٌ. هَذَا مَا تَعْنِيهِ الْكَلِمَةُ الْكِتَابِيَّةُ "حَلِيمٌ."

كَلِمَةٌ أُخْرَى مُرَادِفَةٌ لِمَفْهُومِ الْحِلْمِ، كَمَا يَسْتَخْدِمُهَا بُولُسُ، هِيَ كَلِمَةُ "رَضَى." قَدِيسُونَ كَثِيرُونَ خِلَالَ سَنِينَ طَوِيلَةٍ مِنْ إِبْتِهَارِ السَّيْرِ مَعَ اللَّهِ، يُخْبِرُونَنَا بِوُجُودِ عِلَاقَةٍ حَقِيقِيَّةٍ بَيْنَ الرِّضَى وَالسَّلَامِ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَجَّبَ عِنْدَمَا نَجِدُ هَذَا الْإِرْتِبَاطَ بَيْنَ السَّلَامِ وَالرِّضَى بِحَسَبِ وَصْفِ بُولُسِ. فَالسَّلَامُ يَأْتِي وَالسَّلَامُ يَرْجِعُ غَالِبًا عِنْدَمَا نَقْبَلُ مَحْدُودِيَّاتِنَا.

وفيما يتعلّق بالشرط التاسع للسلام، إرجعوا معي لتأمل برضى هذا الرسول. بينما نتأمل بما تعلّمه هذا الرسول، والذي علّمه كيف يرضى بكلّ ظروفه، علينا أن نستنتج أنّه من الوقت الذي فيه صار يدعو يسوع ربّه، أصبح يؤمن بأن يسوع صار صاحب السيطرة على حياته. إنّهُ راضٍ لأنّه يؤمن أنّه في مشيئة ربّه ومخلصه، وأنّ المسيح الحيّ المقام يُسيطر على كلّ شيءٍ تماماً.

شرطه التاسع للسلام هو الإستسلام غير المشروط لمشيئة يسوع المسيح كرّبنا. أيّ شيءٍ أقلّ من الإستسلام غير المشروط ليسوع المسيح كرّب، يُمكن أن يكون "سارق سلام" بالنسبة لأولئك الذي يعترفون أنّهم يتبعون المسيح. فالكثير من قلّقنا، أو إفتقارنا للسلام، يُمكن إرجاعه إلى الحقيقة المؤلمة أنّنا لم نخذ يسوع ربّاً على حياتنا بكلّ ما للكلمة من معنى.

بعضنا لسنا فقط غير راغبين بأن نعمل بمشيئة المسيح المرصية، بل أيضاً نقاوم مشيئته مثل حصان بريّ يقاوم وضع الرّسن بين فكّيه. ولكن إذا كنّا سنستسلم ببساطة وإخلاص وبدون شروط لإرادته المقبولة، (إن لم يكن هذا قد حصل بعد في رحلة إيمانكم)، فإنّ إستسلامنا غير المشروط ليسوع المسيح سيدفعنا قدماً نحو سلام الله.

شرط عاشر للسلام، يتمّ التركيز عليه عندما يكتب هذا الرسول العظيم في وصفته للسلام: "أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل. في كلّ شيءٍ وفي جميع الأشياء قد تدربّت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص." (١٢) لقد تعلّم بولس سرّ الإكتفاء في أية حالة وجد نفسه فيها.

فماذا كان ذلك السرّ؟ كان ذلك السرّ أن يتعلّم كيف ينال نعمة قبول الأشياء التي تخرج عن سيطرته، مؤمناً أنّ كلّ تلك الأشياء ينبغي أن تكون تحت موافقة وسماح الربّ قبل أن تدخل إلى حياته. لقد كانت حياة بولس نموذجاً رائعاً عن حياة تلميذ قبل مشيئة ربّه ومخلصه، سواءً أكانت الظروف مؤاتية أم معاكسة تماماً.

إنّ تطبيق الشرط العاشر هو واضح بالنسبة لنا. إذ يُمكننا أن نفقد إختيار سلام الله، لأننا لم نقبل نعمة المسيح الحيّ لكي نقبل مشيئته يوماً بعد الآخر رغم الظروف.

الشرط الحادي عشر للسلام، هو أن نتعلّم كيف نعيش عندما تصعب الأمور. طريقة أخرى للتعبير عما أراد بولس قوله هي: "بشكلٍ عامٍ وبشكلٍ خاصٍ، تعلّمت سرّ مواجهة الفقر والغنى." (٤: ١٢) عندما تكون في أزمة، هل سبق وطلبت من يسوع أن يُعلّمك ما علّمه لبولس؟ هذا بعد آخر من أبعاد سلام الله التي ينبغي أن نتعلّمها. فلنحافظ على سلام الله لك، أطلب من المسيح أن يُعلّمك كيف تعيش وسط الصعوبات.

فإن كُنْتَ تُحِبُّ اللَّهَ وَإِنْ كُنْتَ مَدْعُوًّا بِحَسَبِ قَاصِدِهِ، فَاللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي تَحْدُثُ لَكَ، تَعْمَلُ مَعًا لِخَيْرِكَ. قَدْ لَا يَكُونُ أَيُّ خَيْرٍ ظَاهِرٍ فِي مَا حَدَّثَ لَكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ تِلْكَ الْأُمُورِ تَعْمَلُ مَعًا لِتُصْبِحَ نَمُودَجًا لِخَيْرِكَ (رُومِيَّة ٨ : ٢٨). اجْعَلْ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ نَسَبَ عَيْنَيْكَ فِي كُلِّ أَرْمَةٍ تَجْتَازُهَا.

الشَّرْطُ الثَّانِي عَشَرَ لِلسَّلَامِ، هُوَ أَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُعَلِّمَكَ كَيْفَ تَعِيشُ عِنْدَمَا تَسِيرُ الْأُمُورَ عَلَى مَا يُرَامُ. هَلْ سَبَقَ وَفَكَّرْتَ بِهَذَا؟ إِنَّهُ لَتَحَدِّ أَصْعَبَ أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَعِيشُ وَسَطَ الْإِزْدِهَارِ مِمَّا أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَعِيشُ وَسَطَ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ وَوَسَطَ الْفَقْرِ. مُعْظَمُنَا نَرَكُضُ نَحْوَ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَنُصْبِحُ رُوحِيِّينَ جِدًّا فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الصَّعْبَةِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَجِدُ أَتْبَاعُ الْمَسِيحِ أَنْفُسَهُمْ يَعْيشُونَ فِي زَمَنِ الْإِزْدِهَارِ وَالْبَحْبُوحَةِ، وَعِنْدَمَا يَكُونُونَ مُحْتَرَمِينَ مِنْ الْجَمِيعِ وَيَتَمَتَّعُونَ بِالْأَمْنِ – هَذَا هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَسْقُطُ فِيهِ مُعْظَمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَالشَّيْطَانُ يَهْرُمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَمَا يَعْيشُونَ فِي الْإِزْدِهَارِ، مَتَمَتِّعِينَ بِبَرَكَاتِ الرَّبِّ.

لَقَدْ شَارَكَ مَعَنَا بُولُسُ، بِالْمِثَالِ وَالنَّصِيحَةِ، الشَّرْطَ الثَّانِي عَشَرَ لِلسَّلَامِ، وَذَلِكَ بِإِخْبَارِنَا أَنْ نَطْلُبَ مِنَ الرَّبِّ أَنْ يُعَلِّمَنَا كَيْفَ نَعِيشُ عِنْدَمَا نَجْتَازُ فِي مَرَاكِحِ الْإِزْدِهَارِ. لَقَدْ خَسِرَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَلَامَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا مِنَ الرَّبِّ أَدْبًا أَنْ يُعَلِّمَهَا سِرَّ عَيْشِ الْحَيَاةِ الْمُقَدَّسَةِ وَسَطَ الْإِزْدِهَارِ وَالْبَحْبُوحَةِ (فِيلِيبِّي ٤ : ١٢).

لَقَدْ رَكَزَ بُولُسُ عَلَى الشَّرْطِ الثَّلَاثِ عَشَرَ لَوْصَفَةِ السَّلَامِ هَذِهِ، عِنْدَمَا تَحَدَّثَانَا بِأَلَا نَنْسَى أَدْبًا أَنَّ الرَّبَّ قَرِيبٌ (٥). إِنْ كُنْتَ مُتَأَلِّفًا مَعَ حَيَاةِ بُولُسِ الرَّسُولِ، فَكِّرْ بِمَا كَانَتْ تَعْنِيهِ لَهُ حَقِيقَةُ أَنَّ الرَّبَّ قَرِيبٌ. فَعِنْدَمَا كَانَ يَخْتَبِرُ سِجْنَهُ الْأَخِيرَ الصَّعْبَ فِي رُومًا، كَانَ مِنْ الْخُطُورَةِ بِمَكَانٍ أَنْ يَزُورَهُ أَحَدٌ مَا. وَلَمْ يَزُرْهُ أَحَدٌ.

فِي رِسَالَتِهِ الْأَخِيرَةِ إِلَى تِيمُوثَاوُسَ، كَتَبَ يَقُولُ: "الْجَمِيعُ تَرَكُونِي." وَلَكِنَّهُ كَتَبَ أَيْضًا يَقُولُ، "وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ مَعِي وَقَوَّانِي." (٢ تِيمُوثَاوُسَ ٤ : ١٦، و١٧). هَذَا مَا قَصَدَهُ عِنْدَمَا كَتَبَ يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ، "لَا تَنْسُوا أَدْبًا أَنَّ الرَّبَّ قَرِيبٌ." (فِيلِيبِّي ٤ : ٥). فَعِنْدَمَا تَجِدُ نَفْسَكَ فِي أَرْمَةٍ، أَوْ إِنْ كُنْتَ تَجْتَازُ فِي أَرْمَةٍ الْآنَ، لَا تَنْسَ أَنَّ الرَّبَّ قَرِيبٌ.

لِهَذَا شَدَّدْتُ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تَقُولُ أَنَّ عِلَاقَةَ شَخْصِيَّةً يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَتْمًا فِي مَوْقِعِهَا الصَّحِيحِ، إِنْ كُنْتَ جَادًّا بِشَأْنِ فَهْمِ وَتَطْبِيقِ وَصْفَةِ بُولُسِ عَنِ سَلَامِ اللَّهِ.

الشَّرْطُ الرَّابِعُ عَشَرَ لِلسَّلَامِ هُوَ أَنْ تُؤَسِّسَ سَلَامَكَ وَفَرَحَكَ عَلَى عِلَاقَتِكَ مَعَ الْمَسِيحِ الْحَيِّ. فَمَا هُوَ أُسَاسُ سَلَامِكَ وَفَرَحِكَ؟ إِنْ كَانَ أُسَاسُ سَلَامِكَ وَفَرَحِكَ هُوَ زَوْجَتُكَ، وَأَوْلَادُكَ، أَوْ بَعْضَ الْكَائِنَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي تَتَمَتَّعُ مَعَهَا بِعِلَاقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، سَيَكُونُ أُسَاسُ سَلَامِكَ وَفَرَحِكَ هَذَا سَرِيعَ الْعَطْبِ، لِأَنَّهُ لَا تُوجَدُ عِلَاقَةٌ أَرْضِيَّةٌ غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلْكَسْرِ.

إن كان أساس إيمانك وفرحك هو صحتك، أو شبابتك، أو بطولتك، فإن آلاف الناس الذين كانت حياتهم تتمحور حول صحتهم الجسدية، قبل أن يُصيبيهم مرض أو يُدمر حادث ما أساسهم هذا للسلام والفرح، هؤلاء الآلاف سوف ينضمون إلي في تحذيرك بأن الصحة والبطولة والشباب هي أسس سريعة العطب لسلامك وفرحك.

بينما كان بولس يكتب هذه الكلمات، كان يُوجِّهنا إلى أساس للسلام والفرح، الذي هو غير قابل للكسر: "إفرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً إفرحوا." (٤)

الشرط الخامس عشر للسلام، في هذه الوصفة، نجدُه عندما يكتب بولس: "وإن كان مدح... " أي "إن كنتم تقدرون مدح أو رضى الله..." (٨)

لقد سجّل الرسول يوحنا سؤالاً عميقاً حول المدح أو الموافقة التي طُلبت من قبل يسوع. فلقد سأل رجال الذين مرّوا، "كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض. والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه." (يوحنا ٥: ٤٤).

قال الله لإبراهيم، "سرّ أممي وكُن كاملاً." (تكوين ١٧: ١). كم منا يفعلون هذا؟ كم منا يسلكون فعلاً أمام الله طوال الوقت وكلّ يوم؟ كم منا يسلكون ويتحرّكون أربعة وعشرين ساعة، مُركّزين على شعور الله تجاهنا حول من نحن، ماذا نحن، أين نحن، وكلّ الأمور التي نعملها نحن؟

كلّ مؤمن يجتاز في أزمت في الحياة عندما لا يمكنه ببساطة أن يوفق بين رضى الله عليه وبين رضى الناس، أو بين موافقة الله وموافقة الناس. تُوجد أوقات لا نستطيع فيها أن نشرح للناس ماذا يحدث في حياتنا. عندما تأتي هذه الأوقات، وإن كان بإمكاننا الحصول على هذه الموافقة الأفضلية، سوف نكتشف أن أساس سلامنا سريع العطب جداً. فلنحافظ على سلام الله، علينا أن نتعلّم قيمة رضى الله وموافقته.

أختم ملخصي عن وصفة بولس لسلام الله، بالالشرط السادس عشر للحصول على سلام الله ولحفظه. تعلّم ماذا يعني أن تستريح في المسيح يسوع. "وسلام الله الذي يفوق كلّ عقل يحفظ قلوبك وأفكاركم في المسيح يسوع." (٧)

ماذا يعني أن "تستريح في المسيح يسوع؟" وماذا يعني أن نكون "في المسيح يسوع؟" أن نكون في المسيح هي إستعارة مفضّلة إختارها كُتّاب العهد الجديد، عندما أرادوا أن يصفوا تلك العلاقة البالغة الأهمية مع ربنا ومخلصنا، والتي هي العامل الأكثر حيوية وفعالية في معرفة وحفظ سلام الله. يُخبرنا كُتّاب العهد الجديد هؤلاء، خاصة الرسول بولس، أننا نكون "في المسيح"، إن كنّا تلاميذ يسوع المسيح الحقيقيين. يستخدّم بولس تلك الإستعارة سبعاً وتسعين مرّة في كتاباته.

تعني العبارة أننا في إتحادٍ مع المسيح، كما أن العُصنَ هُوَ في إتحادٍ مع الكرمة (يُوحنا ١٥ : ١ - ١٦). أن نكونَ في المسيح، يعني أننا نستطيعُ أن نستمدَّ منه، كونه الكرمة، كلَّ القُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ المانحة للحياة، التي نحتاجها لكلِّ ما نعملُه لأجلِ المسيح، ومعه وبه، بينما نستريحُ فيه. أن نكونَ في المسيح يعني أن نستريحَ في قُوَّتِهِ، لكي نعملَ الأشياءَ التي يدعونا لنعملها طوالَ اليوم وكلَّ يوم.

لقد حاولتُ أن أشرحَ ماذا تعنيه عبارة "في المسيح، وذلك بتقديم المفهوم في فكرةٍ أسميتها "الأسرارُ الرُّوحِيَّةُ الأربعة". فأنا ما كانَ يُوسعي أن أعملَ كما ينبغي ككائنٍ بشريٍّ، وبالتأكيد، ما كانَ يُوسعي أن أذيعَ كلمةَ الله حولَ العالمِ بعشراتِ اللُّغات، كوني مُقعداً وكسيحاً، بدونَ هذه الأسرارِ الرُّوحِيَّةِ الأربعة. وأساراري الأربعة هي التَّالِيَّة:

"ليسَ المُهمُّ من أنا أو ماذا أنا. بل المُهمُّ هُوَ مَنْ وَمَا هُوَ الرَّبُّ، لأنني أنا فيه وهُوَ فيَّ. لا شيءٌ يعتمدُ على ما أستطيعُ أن أعمله، بل ما يستطيعُ الرَّبُّ أن يعملَه، لأنني أنا فيه وهُوَ فيَّ. ليسَ ما أريده أنا هُوَ المُهمُّ. بل المُهمُّ هُوَ ما يريده الرَّبُّ، لأنني فيه وهُوَ فيَّ."

عندما تحدثُ الأمورُ الحسنة، بسببِ كونِ الرَّبِّ قد مرَّ قُوَّتُهُ المانحة للحياة من خلالي، كوني واحداً من أغصانه، عليَّ أن أتذكَّرَ دائماً هذا السرَّ الرُّوحِيَّ الرَّابِع، الذي هُوَ: "لَمْ يَكُنِ المُهمُّ ما فعلتهُ أنا، بل ما فعله الرَّبُّ، لأنني كُنْتُ فيه وكانَ هُوَ فيَّ."

بِكلماتي الخاصة، هذا ما تعنيه عبارة "أن نستريحَ في المسيح". فالكثيرُ من قَلَقنا، والكثيرُ من فُقدانِ سلامنا، ولزبماً أعظم "سارقٍ للسلام" الذي يعترضُ سبيلنا، هُوَ التَّفكيرُ بأنَّه يتوجبُ علينا أن نعيشَ كما عاشَ المسيح، وأن نعملَ عملَ المسيح بقُوَّتنا.

أنا أدركُ أنه من المُمكنِ أن تجتازَ أزمنةً صحيَّةً، التي يُمكنُ أن تنتزعَ منك فُدرتَكَ أن تتذكَّرَ أو أو تُركِّزَ أفكارَكَ بشكلٍ كافٍ لتستطيعَ أن تُصَلِّيَ. لهذا أودُّ أن أشاركَ معَكَ صلاةً للسلامِ الشَّخصِيِّ، مَبْنِيَّةً على هذه الوصفة. فإن كُنْتَ تُريدُ أن تختبرَ سلامَ الله الذي وصفه لنا بولسُ هنا، أدعوكَ لتُصَلِّيَ معي هذه الصلاة:

أيُّها الأبُّ، أنتَ تقولُ لنا في كَلِمَتِكَ أنَّكَ تستطيعُ أن تحفظنا في سلامٍ شَّخصِيٍّ كاملٍ، إذا لببنا شروطَكَ لهذا السلامِ. وبما أنني أطلبُ سلامَكَ في حياتي، أعطني الحكمةَ بالأقلِّ جِئالٍ أيَّ شيءٍ، والإيمانَ لأصليَّ من أجلِ كلِّ شيءٍ.

أعطني الإنضباطَ العقليَّ لأفكرَ بكلِّ الأشياءِ الحسنةِ والإستقامةِ الأدبيَّةِ لأعملَ كلَّ الأشياءِ الصحيحةِ.

أعطني التَّفَاوُلَ العَنِيدَ الذي يُؤْمِنُ بالصَّلَاحِ، وإمْنَحني نَظْرَةً ثاقِبَةً إلى ما أنتِ بِصَدَدِ
عَمَلِهِ، وإلى ما تَعْمَلُهُ الآنَ في حَيَاتِي وفي عَالَمِي، لِكِي أَشْكُرَ في كُلِّ شَيْءٍ.

أعطني أن لا أَعَجَلَكِ، وأن لا أَسْبِقَكَ، بل أن أُنْتَظِرَكَ دائماً، مُخْتَبِراً وَمُعَبِّراً عن
اللُّطْفِ والصَّبْرِ اللَّذِينَ هُمَا ثَمَرُ رُوحِكَ الذي يَحْيَا فِيَّ.

بينما أرتب أولوياتي، أعطني أن أقدر قيمة موافقتك على من أنا، ما أنا، وماذا
أعمل، وأن لا أسلك أمان الناس ليراني الناس، ولا لأرضي الناس.

لا تدعني أنسى كم أنت قريب مني، بينما أقترُبُ منك، عابداً إياك ومتمتعاً بك كلَّ
يومٍ وإلى الأبد.

دعني أسلم حياتي لك إلى أن يتحقق إنسجام كامل بين إرادتي وإرادتك.

إمْنَحني النِّعْمَةَ لأقبلَ إرادتك، مرحلةً بعدَ الأخرى، سواءً عندما تكونُ الظُّرُوفُ
صَعْبَةً، أم عندما تكونُ مُرِيحَةً. بِنِعْمَتِكَ، دعني أتعلّم كيف أزدهرُ روحياً، وكيف أكتفي
عندما أكونُ غَنِيّاً، أو عندما أعاني من الفقر المدقع.

وفي النِّهائِية، أيُّها الأب، اجعلني مُدركاً أنَّه ليسَ المُهمُّ من هُوَ أنا، بل المُهمُّ هُوَ من
هُوَ أنت؛ واجعلني مُعترفاً أنَّه ليسَ المُهمُّ ما أستطيعُ أنا فعله، بل المُهمُّ ما تستطيعُ أنتَ فعله؛
واجعلني مُوافقاً أنَّه ليسَ المُهمُّ ما أريدهُ أنا، بل ما تُريدهُ أنت؛ واجعلني مُتذكِّراً أنَّه بالتَّحليلِ
النِّهائِيِّ، لن يكونَ الأمرُ هُوَ ما فعلتهُ أنا، بل ما فعلتهُ أنتَ هُوَ الذي ستكونُ له نتائجُ باقيةً
وأبديةً؛ بناءً عليه، أعطني تلكَ النِّقَّةَ المُطْفَئةَ بك، وذلكَ الإِعْتِمادَ التَّامَ عليك، الذي سيجعلُ
قلبي وعقلي يستريحان فعلاً في المسيح.

أهْلني لألبي هذه الشروطَ للسلامِ الشَّخْصِيِّ، بِاسْمِ رَبِّي يسوع المسيح، من أجلِ
سلامي ومن أجلي مجدك. آمين.

الفصل الخامس

"وصفة للصلاة"

ثمة الكثير من الوصفات من أجل الصلاة في الكتاب المقدس. وأعظم صلاة هي الصلاة الربانية، أو صلاة التلاميذ التي علّمها الرب يسوع. إنها أعمق وصفة للصلاة مُنحت للعالم، لكنها ليست الوصفة الوحيدة الواردة في الكتاب المقدس. فمن بين عدّة أمثلة وتعاليم عن الصلاة، تُوجدُ وصفةٌ أخرى للصلاة أودُّ أن أشاركها معكم. عندما قست عليّ ظُروف الحياة، اكتشفتُ هذه الوصفة للصلاة. هذه الوصفة تحتوي على إستعارة تُعبرُ بطريقةٍ مجازية عن الوصفة.

عرش النعمة

تُصورُ لنا إستعارة الصلاة هذه وتُعلّمنا أنّ الصلاة تشبه الإقتراب من عرش. ويُسمى هذا العرش "عرش النعمة". نقرأ في كلمة الله، "فلن تقدّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمةً ونجد نعمةً، عوناً في حينه." (عبرانيين ٤: ١٦).

ومن هذا العرش يُورّعُ الله مجّاناً النعمة والرحمة، لِسَدِّ إحتياجاتهم وحلِّ مشاكلهم. لذا، عندما تأتون الى عرش النعمة هذا، عليكم أن تتوقّعوا أنّكم ستلقون النعمة لتساعدكم في حاجتكم والرحمة لتساعدكم في فشلكم. فالرحمة هي صفة الله التي تجعله يحببنا ما نستحقه. والنعمة هي صفة الله التي تجعله يُغدق علينا كلّ تلك البركات التي لا نستحقها، والتي لا يمكننا إكتسابها أو تحقيقها بجهودنا الذاتي.

فعندما تأتون الى الله في الصلاة، هل تطلبون الحصول على هاتين العظمتين الرائعتين من الله - "الرحمة والنعمة"؟ وردت كلمة الرحمة في الكتاب المقدس ثلاثمئة وستة وستين مرّة. ممّا يعني مرّة لكل يومٍ من السنة حتّى في السنوات الكبيس.

أظنّ أنّ الله يقول لنا من خلال وُرود هذه الكلمة كلّ هذه المرّات العديدة في الكتاب المقدس: "لا يمرّ يومٌ واحدٌ لا تحتاجون فيه الى رحمتي". فكّم تشكروا الله على رحمته، وعلى حبه عنكم ما تستحقونه؟ كان مُرشدِي الرّوحيّ في درس كلمة الله، الدكتور J. Vernon McGee، في الحادية والثمانين من عمره عندما سمعته يعظُ لآخر مرّة. أذكرُ أنّه كان يقول، "لقد بلغتُ الحادية والثمانين من عمري، ولم أشعرُ بمقدار ما أشعرُ به اليوم بأنني محتاجٌ لرحمة الله."

إنّ الأبطال الرّوحيين الذين نلتقيهم في الكتاب المقدس، يأتون إلى الله، مُصليين كما صلى داود، عندما إحتاج أن يعترف بأنّه ارتكب خطية الرّنى والقتل: "إرحمني يا الله

حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ إِمْحُ مَعَاصِيَّ. إِغْسَلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي. لِأَنَّ عَارِفَ مَعَاصِيَّ، وَخَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِماً." (مزمور ٥١: ١-٣)

هذه الكلمات هي صلاة شخصٍ تَقِي رُوحِي، أدرك أَنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى رَحْمَةِ ِاللَّهِ، لِأَنَّهُ أَخْطَأَ خَطِيئَةً شَنِيعَةً. فَالصَّلَاةُ الَّتِي نَتَعَلَّمُهَا عِنْدَ عَرْشِ النِّعْمَةِ هِيَ: عِنْدَمَا نَأْتِي إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَأْتِيَ بِثِقَةٍ كَامِلَةٍ بِمَرَاحِمِ اللّهِ، الْمَبْنِيَّةِ عَلَى مَا أَنْجَزَهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا عَلَى الصَّلِيبِ.

فلقد صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّمَ دَمَهُ هُنَاكَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا، وَهُوَ يَتَشَفَّعُ بِنَا الْآنَ (عبرانيين ٩: ١١-١٤). وَلَقَدْ وَقَّرَ مَوْتَهُ عَلَى الصَّلِيبِ الْقَاعِدَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي عَلَى أَسَاسِهَا بِإِمْكَانِ اللّهِ أَنْ يُطَهِّرَنَا مِنْ خَطَايَانَا. لَقَدْ تَمَمَّتْ ذَبِيحَتُهُ خَلَاصَنَا إِلَى الْأَبَدِ. وَلَيْسَ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نُضِيفَ أَيَّ شَيْءٍ عَلَى مَا عَمِلَهُ مِنْ أَجْلِنَا عَلَى الصَّلِيبِ (عبرانيين ١٠: ١٧، ١٨). فَعِنْدَمَا نَقْتَرِبُ مِنْ عَرْشِ النِّعْمَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَرِبَ بِثِقَةٍ كَامِلَةٍ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ.

النِّعْمَةُ – أَي رِضَى وَبَرَكَاتِ اللّهِ الَّتِي لَا نَسْتَحِقُّهَا – هِيَ كَلِمَةٌ جَمِيلَةٌ أُخْرَى مِنْ كَلِمَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَنِعْمَةُ اللّهِ تَأْتِينَا بِأَشْكَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ. بِمَعْنَى مَا، تَعْنِي الْكَلِمَةُ بِجَذْرِهَا، "بَرَكَاتٌ غَيْرُ مُسْتَحَقَّةٍ." هَذَا التَّعْرِيفُ لِلنِّعْمَةِ يَعْنِي أَنَّ خَطَايَانَا لَا تُغْفَرُ لِكُونِنَا نَسْتَحِقُّ الْغُفْرَانَ. بَلْ تُغْفَرُ خَطَايَانَا لِأَنَّ اللّهُ أَحَبَّنَا بِشَكْلِ كَافٍ، إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ لِيَمُوتَ عَلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِ خَلَاصِنَا. وَلَكِنَّ الْكَلِمَةَ تَعْنِي أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ بَرَكَاتٍ غَيْرِ مُسْتَحَقَّةٍ.

نِعْمَةٌ مُدْهَشَةٌ

فِي عَدَدٍ رَائِعٍ آخَرَ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بُولُسُ الرَّسُولُ عَنِ النِّعْمَةِ، نَقَرْنَا: "وَاللّهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ إِكْتِفَاءٍ كُلِّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزِدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ." هَذَا هُوَ أَكْثَرُ عَدَدٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يُشَدِّدُ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي وَقَّرَهَا اللّهُ لِشِعْبِهِ (٢ كورنثوس ٩: ٨).

فَبِحَسَبِ بُولُسِ الرَّسُولِ، اللّهُ قَادِرٌ أَنْ يَفِيضَ عَلَيْكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، بِكُلِّ مَلَأٍ وَلَيْسَ بِتَعْيِيرٍ، وَلَا يُغِدِقُ هَذِهِ النِّعْمَةَ فَقَطْ عَلَى مَشَاهِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْوُعَاظِ، بَلْ وَعَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً، وَفِي كُلِّ حِينٍ، وَلَيْسَ فِي أَوْقَاتٍ وَأَزْمِنَةٍ مُعَيَّنَةٍ فَقَطْ، وَلَكُمْ كُلُّ إِكْتِفَاءٍ وَلَيْسَ فَقَطْ بَعْضَ الْإِكْتِفَاءِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ فَقَطْ، كُلُّ هَذِهِ سَتَفِيضُ لَكُمْ وَتَزِيدُ، وَلَنْ تُعْطَى لَكُمْ بِكَيْلٍ وَلَا بِمَعْيَارٍ، لَكِي تُؤْتِيَ فِيكُمْ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ وَلَيْسَ بَعْضُهُ.

كُلُّ نِعْمَةٍ، كُلُّ فَيْضٍ، كُلُّ وَقْتٍ، كُلُّكُمْ، كُلُّ إِكْتِفَاءٍ، كُلُّ شَيْءٍ، تَزِدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ يُرِيدُ اللّهُ تَحْقِيقَهُ مِنْ خَلَالِكُمْ! لَقَدْ قَلَبْتَ كَنِيسَةَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الْعَالَمِ رَأْساً عَلَى عَقَبٍ، لِأَنَّ

مؤمنيها آمنوا واختبروا الحقيقة التي كان بؤس يُعلِّنها في هذا العدد الرائع عن نعمة الله المدهشة.

إن تلك النوعية والكمية من النعمة متوفرة لكم ولي، أمام عرش النعمة في كل وقت نُصلي فيه. ففي كل مرة نُصلي، علينا أن ندرك أن هذه الصورة المجازية عن الصلاة تدعونا للمجيء إلى الله لنقبل رحمة على أخطائنا ونعمة لتساعدنا على سدِّ احتياجاتنا، لنعيش مثل المسيح ونخدم المسيح في هذا العالم.

أنا أحبُّ الله لأنه جعلَ عرشَ النعمة متوفرًا لي. فلقد وضع الله عرشَ النعمة في مكانه وقال، "في أي وقتٍ احتجتموه، هو هناك بانتظاركم. اذهبوا ببساطة إلى عرش النعمة هذا، وسوف أمحكُم رحمةً على أخطائكم ونعمةً لتساعدكم في حاجتكم. فأنا أحبُّ أن أفتح أبواب السماء على مصراعها لكم وأن أُغدق بفيض نعمتي الرائعة عليكم."

مما يحزن قلب الله كثيراً هو عندما نتجاهل كلياً عرش النعمة الذي وفره لنا جميعاً. فبما أنه يحبُّنا، لديه طرقه لتشجيعنا لكي نلتقي معه هناك. ويخبرنا الكتاب المقدس أن شعب الله يعانون أحياناً لأنه توجد أوقات يُرغمُ الله شعبه حرقاً على الدخول إلى عرش النعمة الذي وفره لهم.

يكتب بؤس قائلاً أن الله أعطانا وصلاً بالإيمان إلى النعمة التي تمكِّننا من الوقوف لأجل المسيح في هذا العالم، وأن نحيا حياةً تُمجِّدُ الله. ثم يخبرنا قائلاً أنه علينا أن نفرح في ضيقنا (ألمنا)، لأنَّ ضيقنا هو الذي يُرغمنا أحياناً على الوصول إلى نعمة الله التي وفرها الله لنا (رومية ٥: ٢-٥).

علينا جميعاً أن نفرح ونشكر الله على أوقات الألم الصعبة التي تُرغمنا على الإقتراب من عرش النعمة. فبدون هذه التجارب، لربما فوّتنا على أنفسنا النعمة التي نحن بأمس الحاجة إليها، لكي نحيا حياةً تُحقِّق مقاصد خلاصنا وتُمجِّدُ الله.

بالختام، هل سبق ووصلتم إلى عرش نعمة الله ورحمته؟ إن لم تصلوا بعد إلى عرش النعمة هذا، لا تؤجلوا هذا الأمر يوماً آخر. فالعرش هناك بانتظاركم، والله ينتظركم ليغدق عليكم رحمته ونعمته. إن كنتم قد قبلتم نعمة الله ورحمته المدهشة، فهل تقربون من عرش النعمة هذا يومياً؟ وهل تقبلون ومن ثم تشاركون رحمته ونعمته مع الآخرين؟

الفصل السادس

"وصفة للطاعة"

هل سبق واكتشفتُم في العهد الجديد، التشديد على الأهمية الحيوية للطاعة، في حياة تلميذ يتبع يسوع المسيح؟ لقد شدّد يسوع على أهمية الطاعة، أكثر من باقي كُتّاب العهد الجديد. مثلاً: لقد ركّز على الطاعة وعرفّها عندما طرح السؤال: "لماذا تدعونني يا رب، يا رب، ولا تعملون بما أقوله لكم؟" (لوقا ٦: ٤٦).

عندما ألقى يسوع عظته العظمى، أظهر تشديده على برّ تلاميذه الشخصي القيامة التي أولاها للطاعة. إثنان من تطويباته أعلنتنا الطوبى على التلميذ الذي لديه جوع وعطش للبرّ - أي لعمل ما هو مستقيم -، وعلى التلميذ الذي يضطهد من أجل البرّ. ولقد أضاف على هذه التطويبات أن برّ تلاميذه ينبغي أن يزيد على برّ الكتبة والفريسيين (متى ٥: ٦، ١٠، ٢٠).

ولقد ختم أعظم عظاته ببعض الإيضاحات الرائعة حول أهمية الطاعة. فبينما وصل بذلك التعليم إلى قرار بدعوة رهيبة قال، "ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يعمل مشيئة أبي الذي في السموات." (متى ٧: ٢١).

تُشير كلماته الأخيرة على رأس الجبل إلى مثل المنزّلين اللذين اجتازا عبر عواصف هوجاء. المنزل الذي يسقط يشير إلى التلميذ الذي لا يطيع تعليمه، والمنزل الذي لا يسقط يشير إلى التلميذ الذي يطيع تعليمه.

ولقد علّم يسوع أن الطريقة الوحيدة لنبرهن أن تعليمه هو كلمة الله، هو أن نقرب من تعليمه مَرَوِّدين بإرادة لنعمل بما يُخبرنا تعليمه أن نعمله. وحده التلميذ الذي يريد أن يعمل، هو الذي سيعرف. فيحسب يسوع، العلم لا يقود إلى العمل؛ بل العمل يقود إلى العلم.

وبعد أن علّمنا يسوع بالمثال وبالتعليم العميق أنه ينبغي علينا أن نغسل بعضنا أرجل بعضاً، وأن نخدم بعضنا بعضاً، أعلن قائلاً: "إن علمتم هذا، فطوباكم إن عملتموه." (يوحنا ١٣: ١٧).

عندما سأله الرسل في العلية كيف يمكنهم أن يتمتعوا بعلاقة معه، بعد قيامته، أخبر يسوع يهوذا أن القضية هي قضية طاعة. فلقد أخبر يهوذا وباقي الرسل قائلاً: "عندما تُطيعون كلمتي، فسوف آتي أنا، وأبي، والروح القدس، ونسكن فيكم." (يوحنا ١٤: ٢٢ - ٢٤).

لقد سَبَقَ وَصَرَخَ بهذه الحَقِيقَةِ نَفْسِهَا بِوُضُوحٍ تامٍ عِنْدَمَا أَخْبَرَ الرُّسُلَ فِي هَذِهِ المُنَاسَبَةِ نَفْسِهَا: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ؛ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ الرُّوحَ القُدُسَ." (١٥: ١٤) نَجِدُ تَأَكِيداً عَلَى هَذَا المَبْدَأِ فِي سَفَرِ الأَعْمَالِ، عِنْدَمَا يُصَرِّحُ بِطَرُوسٍ أَنَّ اللّٰهَ "يُعْطِي الرُّوحَ القُدُسَ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ." (أعمال ٥: ٣٢).

المأموريَّة العظْمى

قَدِّمْتُ هَذِهِ اللِّمَحَةَ المَوْجِزَةَ عَنِ وَصْفَاتِ المَسِيحِ لِلطَّاعَةِ، لِكَيْ أُضَعَ إِطَاراً أَوْ خَلْفِيَّةً لِمَأمُورِيَّتِهِ العَظْمى. لَقَدْ أَعْطَانَا يَسُوعُ نَحْنُ جَمِيعاً الَّذِينَ نَعْتَرِفُ بِأَنَّنا تَلَامِيذُهُ، أَوْامِرَ سَيْرِنَا، عِنْدَمَا اِلْتَقَى مَعَ رُسُلِهِ وَمَعَ أَكْثَرِ مَنْ خَمَسِمِئَةَ أُخٍ بَعْدَ قِيَامَتِهِ. فَقَبِلَ صُغُودِهِ، كَانَتْ كَلِمَاتُهُ الأَخِيرَةَ لِكَنِيسَتِهِ: "ذَفِعْ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَّمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالإِبْنِ وَالرُّوحِ القُدُسِ، وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَها أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ." (متى ٢٨: ١٨ - ٢٠).

لَقَدْ أَطَاعَ بُولُسُ المَأمُورِيَّةَ العَظْمى. وَعِنْدَمَا شَارَكَ الكُورِنْثُوسِيِّينَ بِالدَّافِعِ الكَامِنِ وَرَاءَ الخِدْمَةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُ أَعْظَمَ مُرْسَلٍ فِي تَارِيخِ الكَنِيسَةِ، أَخْبَرَ هُمْ أَنَّه كَانَ لَدَيْهِ ثَلَاثَ قِيَمٍ مُطْلَقَةً: لَقَدْ آمَنَ أَنْ وَاحِداً مَاتَ عَنِ الجَمِيعِ؛ وَأَنَّ الجَمِيعَ زَاغُوا، وَخَتَمَ أَنَّ الجَمِيعَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْمَعُوا رِسَالَةَ الإنجيلِ.

لِهَذَا عَاشَ مَعَ حَمَاسٍ كَانَ يَدْفَعُهُ بِقُوَّةٍ لِيُخْبِرَ العَالَمَ بِأَسْرِهِ عَنِ المَسِيحِ، مِمَّا جَعَلَ الكُورِنْثِيِّينَ يَنْتَهَمُونَهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ مُتَوَازِنَ الشَّخْصِيَّةِ، أَوْ مُخْتَلَّ التَّوَازُنِ، أَوْ مَجْنُوناً. لَقَدْ كَانَ يُدَافِعُ عَنِ كَوْنِهِ سَلِيمَ العَقْلِ عِنْدَمَا كَتَبَ هَذِهِ الفِكْرَةَ العَظِيمَةَ عَنِ الدَّافِعِ الَّذِي حَرَّكَ أَعْظَمَ مُرْسَلٍ مَسِيحِيَّ عَرَفَهُ العَالَمُ عَلَى الإِطْلَاقِ (٢ كُورِنْثُوسِ ٥: ١٣ - ٦: ٢).

قَرَابَةٌ نِهَائِيَّةٌ رَسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةِ، أَخْبَرَ التَّلَامِيذَ فِي رُوما أَنَّه كَانَ حَرِيصاً أَنْ يَذْهَبَ إِلَى رُوما، لِأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُهُمْ أَنْ يَدْعُمُوهُ بَيْنَمَا يَذْهَبُ إِلَى الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَاجُونَ لِيَسْمَعُوا رِسَالَةَ الإنجيلِ فِي إِسبَانِيَا. ثُمَّ قَدَّمَ تَصْرِيحاً رَائِعاً. كَتَبَ يَقُولُ أَنَّه إِذَا رَسَمْتُمْ دَائِرَةً مِنْ كُورِنْثُوسِ إِلَى مُنْتَصَفِ إِيطَالِيَا، لَمْ يَعُدْ يُوْجَدُ مَكَانٌ وَاحِدٌ لَمْ يَكِرْزْ فِيهِ بِبُولُسِ بِالإنجيلِ.

إِذَا أَخَذْتُمْ خَارِطَةً وَتَتَبَعْتُمْ المَنْطِقَةَ الجُغْرَافِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بُولُسُ عَنْهَا، سَتُدْرِكُونَ أَنَّه كَانَ يَصِفُ إِنجَازاً غَيْرَ إِعتيَادِيٍّ. يُخْبِرُنَا مُورِّخُو الكَنِيسَةِ أَنَّ بُولُسَ كَرَزَ بِالإنجيلِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، ضِمْنَ تِلْكَ الدَّائِرَةِ، وَأَنَّهُ كَرَزَ بِالإنجيلِ فِي إِسبَانِيَا، مَدْعُوماً مِنْ كَنِيسَةِ رُوما. لَقَدْ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِقَلْبِ إِرسَالِيٍّ يَدْفَعُهُ لِلْكَرَازَةِ فِي العَالَمِ أَجْمَعِ. لَقَدْ أُعْطِيَ بُولُسُ وَبَاقِي الرُّسُلِ أَنفُسَهُمْ بِدُونِ تَحْفَظِ لِعَمَلِ الكَرَازَةِ بِإنجيلِ الخِلاصِ بِالإِيمَانِ بِمَوْتِ وَقِيَامَةِ يَسُوعِ المَسِيحِ، لِعُفْرَانِ خَطَايَانَا (١ كُورِنْثُوسِ ١٥: ١ - ٤).

فما هو الدافع الذي حرّك الجيل الأول من الكنيسة للكراسة بالإنجيل، ولربح تلاميذ للمسيح حول العالم؟ أعتقد أن الجواب على هذا السؤال بسيط جداً. فقد آمن هؤلاء المسيحيون الأوائل بتلك المطلقات الثلاث التي نادى بها بولس. آمنوا أن المسيح مات من أجل الجميع، وأن الجميع ساقطون، وأن الجميع يحتاجون أن يسمّعوا الإنجيل.

لماذا لا تقوم بعض الكنائس اليوم بالكراسة بالإنجيل للهالكين في العالم؟ لأنهم لا يؤمنون أن هؤلاء الذين في العالم هم هالكون. يوجد الكثير من المؤمنين "غير التبشيريين" اليوم، الذين لا يؤمنون أن الجميع ضالون، وأن الجميع ينبغي أن يسمّعوا الإشارة أن المسيح يسوع مات من أجل خلاصهم. ولكننا نحن أخذنا تلك المأمورية العظمى عنها، بأن نصنع تلاميذ للمسيح، تلك المأمورية عنها التي أعطيت للكنيسة الأولى في الجيل الأول.

عقد مؤتمر عالمي حول تبشير الأرض، عام ١٩٧٤ في لوزان، سويسرا. فاجتمع قادة روجيون من مائة وخمسين بلداً، وتحلقوا حول هذه القضية: هل نحن نؤمن أن الهالكين هم بالفعل هالكون؟ ولقد اتفق هؤلاء القادة ووافقوا تماماً على المطلقات الإرسالية الثلاث التي نادى بها بولس، ودعوا إتفاقهم، "عهد لوزان".

هذا العهد هو تصريح واضح عما يؤمن به تلاميذ يسوع التبشيريون حيال إرسالية كنيسة المسيح الحي المقام في عالمنا اليوم. إذا درست هذا العهد، ستجدون أنه يعالج بعض الأسباب التي من أجلها يستنكف الكثير من المؤمنين عن الإنخراط بإرساليات العالم اليوم.

دعوني أركز على بعض النقاط. اتفق هؤلاء القادة الإنجيليون على التالي: "نؤمن بأن الإنجيل هو أخبار الله السارة للعالم أجمع، ونحن مصممون بنعمته على طاعة مأمورية المسيح العظمى، لإعلانها لكل الجنس البشري، ولنتلمذ أناساً من كل أمة."

وكتبوا يقولون: "إن قصد الله هو أن يدعو شعباً من العالم لنفسه، وأن يرجع هؤلاء الناس إلى العالم ليكونوا خدامه وشهوده. نعتزف بحجل من نفوسنا أننا غالباً أنكرنا دعوتنا، وفشلنا في رسالتنا، وذلك بمشابهتنا للعالم، أو بإنسحابنا من العالم. رغم ذلك، فنحن نفرح أن الإنجيل، حتى ولو تم إيصاله بواسطة آنية ترابية، يبقى كنزاً ثميناً."

ولقد قاموا بتأكيد عن سلطة كلمة الله. "نؤكد إلهية وصدقية وسلطة الوحي المقدس، بعهديه القديم والجديد بكليتهما، وأن هذين العهدين القديم والجديد هما كلمة الله الوحيدة المعصومة عن الخطأ في كل ما تؤكد، والقاعدة الوحيدة المعصومة عن الضلال للإيمان والسلوك." ولقد قرروا أيضاً قائلين: "نؤكد قدرة كلمة الله على إتمام قصده للخلاص، لأننا نؤمن بأن رسالة الكتاب المقدس موجهة لكل الجنس البشري."

ولقد إنْفَقَ هؤلاء القادة الإنجيليون أيضاً على أن سبباً آخر لَعَدَمِ رُؤْيَتِنَا تَبَشِيرَ أعْظَمِ للعالم اليوم، كما كان ينبغي أن يكون، هُوَ لَأَنَّ كَثِيرِينَ يُؤْمِنُونَ اليومَ أَنَّ كُلَّ دِياناتِ العالمِ هِيَ جَيِّدَةٌ وصَالِحَةٌ. ولقد إنْفَقَ هؤلاء القادة أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ أَنَّ كُلَّ دِيانَةٍ يُمكنُهَا أن تَقُودَنَا إلى الخِلاصِ وإلى السَّماءِ. وهكذا صرَّحُوا قائلينَ في إحدى الفَقَرَاتِ: "نُؤَكِّدُ أَنَّهُ يُوجَدُ مُحَلِّصٌ واحدٌ وإنجِيلٌ واحدٌ. ورُغْمَ أَنَّهُ يُوجَدُ ما يُسَمَّى بإعلانِ اللهِ في الطَّبِيعَةِ، ولكِنَّا نُنْكِرُ أَنَّ الإِعلانَ الطَّبِيعِيَّ يُمكنُهُ أن يُخَلِّصَ، ونرفُضُ كُلَّ أولئك الذين يَقُولُونَ أَنَّ المسيحَ يتكَلَّمُ على نفسِ المُستَوَى من خِلالِ كُلِّ الدِّياناتِ والإيديولوجياتِ سِوَا سِيسِيَّةٍ. فلا يُوجَدُ إِسْمٌ آخر تحتِ السَّماءِ بهِ يَنْبَغِي أن نَخْلُصَ. لَأَنَّ الجَمِيعَ يَهْلِكُونَ بِسَبَبِ الخَطِيئَةِ، ولكنَّ اللهَ يُحِبُّ جَمِيعَ النَّاسِ، وَهُوَ لا يُرِيدُ أن يَهْلِكَ أَحَدٌ بل أن يُقْبَلَ الجَمِيعَ إلى التَّوْبَةِ."

كَتَبَ أَحَدُ القادةِ الإرساليينَ ما يلي: "إنَّ المأموريَّةَ العُظْمَى هي شُرْعَةُ الكنيسةِ. كَكُلِّ مُؤَسَّسَةٍ أُخْرَى، يَنْبَغِي على الكنيسةِ أن تُلَبِّيَ شُرُوطَ شُرْعَتِهَا، وإلا توفَّقت وتدهورت وكفَّت عن الوجودِ."

أَهْمُ تصرِيحٍ في هذا العهد هُوَ التَّالِي: "يَتَطَلَّبُ تَبَشِيرُ العالمِ أن تَأخُذَ كُلُّ الكَنيسةِ كُلَّ الإنجيلِ إلى كُلِّ العالمِ." وبما أَنَّهُمْ وافقُوا على كَوْنِ الكنيسةِ هي في وَسَطِ قَصْدِ اللهِ، وَأَنَّهَا وَسِيلَتُهُ المُخْتَارَةُ لِتُنشِرَ الإنجيلَ، أَضافُوا إلى ذلكِ التَّصرِيحَ الإِقْتِناعَ بَأَنَّ، "الإنجيلَ لا يَنْبَغِي أن يُستَأسَرَ لآيَةٍ حِضَارَةٍ أو مُجْتَمَعٍ أو نِظامٍ سِياسِيٍّ أو إيديولوجيَّةٍ بَشَرِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ.

ويُؤَكِّدُ العهدُ قائلاً: "إنَّ الدَّورَ الأساسِيَّ للإرساليَّاتِ الغَربيَّةِ يَخْتَفِي سَريعاً، وَأَنَّنا كمرسَلينَ كُنَّا مفرطِي البُطءِ في إعدادِ وتشجيعِ قِادَةِ وَطَنِيِّينَ على تَحْمُلِ مَسْئُولِيَّاتِهِمْ. ففي كُلِّ أُمَّةٍ وَحِضَارَةٍ، يَنْبَغِي أن يَكُونَ هُنَاكَ بِرَامِجٍ تَدْرِيبِ فَعَالَةٍ لِلرُّعَاةِ والعِلمانيِّينَ، في مواضعِ العقيدةِ، التَّلْمَذَةِ، التَّبَشِيرِ، التَّربِيَةِ والخِدْمَةِ. وهذه البرامِجُ التَّدْرِيبِيَّةُ يَنْبَغِي أن تُكُونَ مَبْنِيَّةً على المُبادَراتِ المَحَلِّيَّةِ الخالِقةِ، وأن تُكُونَ مُنظَّمَةً على أساسِ المعاييرِ الكِتابِيَّةِ." ولقد تَمَّ التَّوافُقُ على أَنَّ "شُعُوبَ أَيَّةِ حِضَارَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَعْرِفُونَ بِشَكْلِ أَفضَلٍ من غَيْرِهِم كيف يَصِلُونَ إلى شِعْبِهِمْ وكيف يَقُودُونَهُمْ إلى الحَقِّ، ممَّا نَعْرِفُهُ نحنُ الغَربيُّونَ."

بينما كُنْتُ أَلتَقِي بِقِادَةِ رُوحِيِّينَ من بُلدانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، لَطالَمَا تَساءَلْتُ، "ما هي حاجَتُكم القُصوى؟" وَجَمِيعُهُمْ كانوا يُجيبُونَنِي، "حاجَتُنَا إلى تَدْرِيبِ خُدَّامِنَا. هذه هي حاجَتُنَا القُصوى." يُعْتَقَدُ أَنَّهُ يُوجَدُ اليومَ حوالي مِليُونِ راعي كَنيسةٍ في هذا العالمِ، وأقلُّ من مائةِ أَلْفٍ مِنْهُمْ يَحْمِلُونَ شِهادَةً من كُليَّةٍ لاهُوتِ. هذا يَصِحُّ على الكَثِيرينَ مِنْهُمْ، لَأَنَّ التَّعليمَ اللاهوتيَّ أو الكِتابِيَّ مَمْنُوعٌ أو صَعَبٌ الحُصُولِ عَلَيْهِ في حِضَارَةٍ هُؤَلاءِ.

قالَ الرُّعَاةُ الثَّمانيَّةُ الذين قامُوا بِترجمةِ دراساتِنَا هذه للكتابِ المُقدَّسِ إلى لُغَةِ المَنَدارينِ الصِّينِيَّةِ، قالُوا عن دراسَتِنَا للكتابِ المُقدَّسِ: "كُنَّا نَبْحَثُ عن وَسِيلَةٍ يُمكنُ فِهمُهَا

من قِبَلِ فَلَاحِ صَيْنِيّ اليَوْمِ. فَفَطْ خَمْسَةٌ بِالمائَةِ مِنْ شَعْبِ بَلَدِنَا يَتَمَنُّونَ بِإِمْتِيَاذِ الدَّهَابِ إِلَى كَلِيَّةٍ، بَيْنَمَا تَقْبَعُ الأَكْثَرِيَّةُ السَّاجِقَةَ مِنَ الشَّعْبِ، المُكَوَّنَةُ مِنَ الفَلَاحِيْنَ البُسْطَاءِ، فِي الجَهْلِ المُطْبِقِ. "نَمْ أَضَافُوا،" كُنَّا نَنْطَلَعُ بِشَوْقٍ إِلَى مَوْضُوعِ دِرَاسَةِ مُعَدِّ لِابْنِ إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَلَكِنْ عِنْدَمَا وَجَدْنَا دِرَاسَتَكُمْ لِلْكِتَابِ المُقَدَّسِ، أَدْرَكْنَا أَنَّنا وَجَدْنَا ضَالَّتَنَا المَنْشُودَةَ الَّتِي كُنَّا نَبْحَثُ عَنْهَا."

لَقَدْ أَسْعَدَنِي هَذَا كَثِيرًا، لِأَنَّنِي عِنْدَمَا أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا، لَنْ أُنْسَ أَبَدًا كَيْفَ كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ شَخْصٍ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُبَسِّطَ كَلِمَةَ اللَّهِ لِي لِكَيْ أُسْتَطِيعَ أَنْ أَفْهَمَهَا. وَكَمْ كُنْتُ شَكُورًا عِنْدَمَا وَجَدْتُ وَأَنَا فِي العَشْرِينَ مِنْ عُمْرِي، الدُّكْتُورُ J. Vernon McGee لِيَكُونَ أَسْتَاذِي فِي الكِتَابِ المُقَدَّسِ. لَقَدْ اسْتَخَدَمَ اللَّهُ تَعْلِيمَهُ البَسِيطَ وَالحَيَوِيَّ لِكَيْ يَفْتَحَ فَهْمِي عَلَى أَسْفَارِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ السَّنَّةِ وَالسَّنَتَيْنِ. وَالأَكْثَرُ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ، كُنْتُ أَحَاوِلُ أَنْ أَعْمَلَ هَذَا الأَمْرَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ المُؤْمِنِينَ الجُدُدِ. وَهَذَا يَصِحُّ بِشَكْلِ خَاصٍّ عَلَى بُلْدَانٍ وَحَضْرَاتٍ يَكُونُ فِيهَا تَوْفُرُ التَّعْلِيمِ اللّاهُوتِيِّ صَعْبًا أَوْ مُسْتَحْيِلًا.

يُؤَكِّدُ القَرَارُ الأَخِيرُ لِعَهْدِ لُوزَانَ أَنَّ رِجَاءَ العَالَمِ الوَحِيدَ وَرِجَاءَ الكَنِيسَةِ المُبَارَكِ هُوَ: المَجِيءُ الثَّانِي لِلرَّبِّ يَسُوعَ المَسِيحِ. وَلَقَدْ انْتَفَقُوا مَعًا عَلَى الثَّالِي: "أَنَّ الوَعْدَ بِمَجِيئِهِ هُوَ دَافِعٌ مُشَجِّعٌ عَلَى تَبَشِيرِنَا، لِأَنَّنا نَتَذَكَّرُ كَلِمَاتِ الرَّبِّ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُكْرَرَ أَوَّلًا بِهَذَا الإِنْجِيلِ لِكُلِّ الأُمَّمِ، ثُمَّ يَأْتِي المُنْتَهَى. نُؤْمِنُ أَنَّ المَرْحَلَةَ الإِنْتِقَالِيَّةَ بَيْنَ صُعودِ المَسِيحِ وَبَيْنَ رُجُوعِهِ، يَنْبَغِي أَنْ تُمَلَأَ بِإِرْسَالِيَّةِ شَعْبِ اللَّهِ، الَّذِي لَيْسَ حُرًّا أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنِ التَّبَشِيرِ قَبْلَ مَجِيءِ المُنْتَهَى." إِنَّ حَقِيقَةَ كَوْنِ الإِنْجِيلِ يَنْبَغِي أَنْ يُكْرَرَ بِهِ لِكُلِّ خَلِيقَةٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ المَسِيحُ ثَانِيَةً، هَذِهِ الحَقِيقَةُ يَنْبَغِي أَنْ تُحْتَنَى عَلَى أَنْ نُخْبِرَ الأَخْرِيْنَ عَنِ المَسِيحِ (مَتَّى ٢٤: ١٤، مَرْفُوسٌ ١٦: ١٥). يَتَحَدَّثَانَا بَطْرُسُ بِأَنْ نُعَجِّلَ يَوْمَ مَجِيئِهِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، لِأَنَّ يَسُوعَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ بَلْ أَنْ يَخْلُصَ الجَمِيعُ (٢ بَطْرُسُ ٣: ٩، ١١، ١٢).

إِنَّ عَهْدَ لُوزَانَ هُوَ بَيَانُ إِيمَانٍ "مَدْرَسَةِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ المُصَغَّرَةِ"، الَّتِي قَدَّمْنَا بِرَامِجِهَا الإِذَاعِيَّةَ بِعُنْوَانِ "فِي ظِلَالِ الكَلِمَةِ."

فِي الخِتَامِ، يَسُوعُ لَيْسَ مُهْتَمًّا بِمَا نَعْتَرِفُ بِأَنَّنا نَعْلَمُهُ، بَلْ هُوَ مُهْتَمٌّ بِمَا نَعْمَلُهُ حِيَالًا مَا نَعْلَمُهُ، أَيْ بِأَنْ نَكُونَ طَائِعِينَ كَمَا كَانَ هُوَ طَائِعًا. قَالَ يَسُوعُ لِلَّهِ الآبِ فِي صَلَاتِهِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي يُوحَنَّا ١٧: ١٨، "كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى العَالَمِ، أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى العَالَمِ." لَقَدْ أَرْسَلَ يَسُوعُ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ (لُوقَا ١٩: ١٠). صَلَاتِي هِيَ أَنْ تُسَاهِمَ بِرَامِجِ "فِي ظِلَالِ الكَلِمَةِ"، وَكُتَيْبَاتِ "مَدْرَسَةِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ"، فِي تَاهِيْلِكَ أَيُّهَا القَارِئُ العَزِيزُ لِتَحْمَلِ أَخْبَارَ الإِنْجِيلِ السَّارَّةَ وَتَنْقُلَهَا إِلَى العَالَمِ.

إنَّ طاعةَ المأموريَّةِ العُظمى هي جَوْهَرُ رسالةِ برنامجِ "في ظلالِ الكلمة"، ومدرسةَ الكتابِ المُقدَّسِ المُصَغَّرَةِ، وهي أيضاً مُلَخَّصُ عهدِ لُوزانِ الخِتَامِيِّ:

لذلكَ، وعلى ضوئِ إيماننا وتصميمنا، ندخُلُ في عهدِ عَليِّ معِ اللهِ ومعِ بَعْضِنا البعضِ، لِنُصَلِّيَ ونُحَطِّطَ ونَعْمَلَ معاً لأجلِ تبشِيرِ العالمِ بأسره. ونحنُ ندعُو الآخرينَ لِيَضْمُوا جُهودَهُم معنا لِنَحْقِيقَ هذا الهدفِ. فليُساعدنا اللهُ بنعمتِهِ ولمجدِهِ لكي نَكُونَ أُمَّناءَ لعهدنا هذا. "أمين. هَلِّوليا!

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل